بسم الله الرحمن الرحيم

أسرار التقديم والتأخير في كلام العليم الخبير

بحث مقدم إلى مؤتمر الإعجاز العلمي بجامعة الزرقاء بالأردن المقرر انعقاده في (23 – 2005/8/25)

مقدمه: د. الجيلي علي أحمد بلال

جامعة الإمارات العربية المتحدة
كلية الشريعة والقانون
قسم الدراسات الإسلامية

ملخص البحث:

يتناول البحث ألفاظاً من القرآن الكريم وردت مقدمةً في آية أو أكثر ومؤخرةً في آية أو آيات أخرى، حتى إنها لتشتبه على حفظة القرآن، وتشكل عليهم، ولا يكاد يسلم منها إلا المهرة المتقنون. وقد تم حصر هذه المواضع حصراً دقيقاً، وقُسمت حسب معانيها النحوية، فكان بعضها معطوفاً، وبعضها أخباراً قُدم بعضها في موضع وأُخر في آخر، وبعضها صفات قدمت على بعضها، وبعضها معرفاً باللام قدم على معرف بالإضافة في اسم (إنّ)، وبعضها ظرفاً تقدم على الحال، وبعضها مفعولاً ثانياً قُدم على نائب الفاعل، وبعضها جاراً ومجروراً تقدم على مثله أو غيره.

بين البحث وجه تقدم كل لفظ في موضع، وتأخرِه في نظيره، وقد تجلى للناظر فيه سرٌّ عظيم من أسرار إعجاز القرآن الكريم؛ حيث إنه ما قُدم لفظ إلا كان تقديمه هو اللائق به، وما أُخر غيرُه إلا كان تأخيره هو الأنسب له. وربما تنكشف هذه الأسرار لبعض وتخفى عن بعض على قدر تدبرهم وعلمهم وفهمهم، ولا تزال الأفهام في قصور عن إدراك أسرار كلام العليم الخبير، وهذا هو الإعجاز عينُه.

مقدمة البحث:

الحمد لله الأول والآخر، المقدِّم والمؤخر، وأشهد أن لا إله إلا الله، أنزل كتابه محكماً معجزاً لسائر البشر، عبرةً لمن اعتبر وموعظةً لمن ادّكر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أيده ربه بآية خالدة تتراءى لمن ألقى السمع وأنعم النظر. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أبد الدهر. وبعدُ، فإن الحديث عن إعجاز القرآن، من خصائص العلماء الفحول، الذين لا تتطاول أعناقنا للحاق بهم؛ لِما نعلم من حالنا وحالهم، إلا أن ذلك لا يمنعنا أن نقتفي آثارهم، لعله يُفتح علينا كما فُتح عليهم.

هذا البحث دقيق المسلك عميق الغور؛ مما جعلني أتردد كثيراً في اختياره، فرَقاً أن لا أفيَه حقه، خاصةً وأنه يتعلق بكتاب الله تعالى. وعندما خضت فيه سلكتُ شِعْباً لم أجد فيها أثرَ قدمٍ لأحد ، فخفتُ أن أقول في القرآن برأيي، ولكني أجمعتُ أمري وعزمت، واجتهدت بحسب طاقتي، فإن أصبتُ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن أخطأتُ فاللهَ نسأله الغفران.

يتعلق البحث بالآيات المشتبهة لفظاً، التي يكون سبب اشتباهها تقديم لفظ في آية وتأخيره في آية شبيهة لها. وقد صنف العلماء في توجيه المتشابهات اللفظية[1]، وهي على أنواع، فمنها ما كان اشتباهه

[1] – من ذلك درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة، وغيرها كما سيأتي عند توثيق موضوعات البحث، كما أن بعض المفسرين اعتني بتأويل بعض المتشابهات كالزمخشري في كشافه والفخر الرازي في تفسيره، وتبعهم النيسابوري في غرائب القرآن، وكذا الألوسي في روح المعاني، ومن المعاصرين المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي.

بالتقديم والتأخير، وهو موضوع هذا البحث، ومنها ما كان اشتباهه بالزيادة والنقصان، ومنها ما كان بإبدال لفظ أو حرف بآخر، وغير ذلك. و لم أجد من أفرد الاشتباه بالتقديم والتأخير بتصنيف خاص.

وقد كشف البحث عن مواضع أهملها المصنفون، و لم يذكروها مع الآيات المشتبهة، مع أن فيها اشتباهاً بالتقديم والتأخير، وربما اهتديتُ لبعضها بسبب اشتباهها عليّ أثناء مراجعة القرآن، فلما نظرتُ فيها علمتُ أن سبب ذلك كان التقديم والتأخير.

هذا، وقد قسمت البحث بحسب معانيه النحوية، وذلك حتى يظهر أثر التقديم والتأخير، فجعلت **المبحث الأول** للمعطوفات، وهو على ثلاثة أنواع: **الأول**: عطف مفرد على مثله، وهو ست مسائل، **والثاني**: عطف جملة على مثلها، وهو تسع مسائل، **والثالث**: ما كان بعضه من عطف المفردات وبعضه من عطف الجمل، وهو مسألتان.

وجعلت **المبحث الثاني** لتقديم الأخبار على بعضها، وهو مسألة واحدة، **والمبحث الثالث** لتقديم الصفات بعضها على بعض، وهو أربع مسائل. وأما **المبحث الرابع** ففي تقديم الاسم المعرف باللام على المعرف بالإضافة في اسم (إنّ)، وهو مسألة واحدة. **والمبحث الخامس** في تقديم الظرف على الحال، وهو مسألة واحدة. **والمبحث السادس**: في تقديم المفعول الثاني على نائب الفاعل، وهو مسألة واحدة، **والمبحث السابع**: في تقديم الجار والمجرور، وهو ستة أنواع، **النوع الأول**: تقديمه على جار ومجرور ، وهو سبع مسائل، **والنوع الثاني**: تقديمه على الفاعل، وهو مسألتان، **والنوع الثالث**: تقديمه على المفعول به، وهو ثلاث مسائل، **والنوع الرابع**: تقديمه على الصفة، وهو مسألة واحدة، **والنوع الخامس**: تقديمه على نائب الفاعل، وهو مسألة واحدة، **والنوع السادس**: تقديمه على الحال ، وهو مسألة واحدة. وفيما يلي بيان **منهجي في البحث**:

أولاً: أقوم بحصر جميع الآيات التي ورد فيها الاشتباه بالتقديم والتأخير، وأكتبها بخط المصحف، إلا ثلاث مسائل، عسر عليّ كتابة جميع الآيات فيها، فاكتفيتُ في إحداها[1] بالإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية؛ لأن آياتها زادت عن خمس وعشرين، واكتفيت في الأخريين بالإحالة إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، وذلك لأن الآيات في إحداهما بلغت السبعين[2]، وفي الأخرى[3] زادت عن المائة، ولا يخفى عسر ذلك في مثل هذا البحث.

[1] – وهي تقديم الحكيم على العليم وتأخيره، وهي المسألة الثانية من المبحث الثاني.

[2] – وهي تقديم الغفور على الرحيم في المسألة الرابعة من المبحث الثاني.

[3] – وهي: (تقديم السماء على الأرض)، في المسألة الثانية من النوع الثالث في المبحث الأول ..

ثانياً: أنظر في توجيه ما قدم أو أخر في مظانِّه من كتب توجيه المتشابهات وبعض كتب التفسير التي لها عناية بذلك.

ثالثاً: أرجح ما أراه مناسباً عند اختلاف الآراء، فإن كانت الأقوال كلها مقبولة و لم يترجح عندي واحد منها اكتفيتُ بسردها وعزوها إلى مصادرها.

رابعاً: أجتهد بقدر الطاقة فيما لم أجد له توجيهاً، مستعيناً بدلالة السياق، والقياس على نظائرها مما وجه به العلماء.

وختمت البحث بسرد لأهم نتائجه مع بعض التوصيات، وأردفته بثبت المراجع والمصادر التي استعنت بها، مع فهرس لمحتوى البحث. نسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يغفر لنا ما زلّ فيه القلم، أو أخطأه الفهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الأول: تقديم المعطوفات وتأخيرها

وهو ثلاثة أنواع: **الأول**: عطف مفرد على مثله، **الثاني**: عطف جملة على مثلها، **الثالث**: ما كان بعضه عطف مفرد على مثله، وبعضه عطف جملة على مثلها.

وقبل الخوض في مسائل هذا المبحث، لا بد من معرفة آراء العلماء في الواو العاطفة: هل تفيد ترتيباً أم لا؟. أما عطف المفرد على مثله فقد اختلفوا فيه، فمذهب البصريين أنها لا تفيد الترتيب، وإنما هي لمطلق الجمع والتشريك، خلافاً للكوفيين[1]. فإذا قلت: قام زيد وعمرو احتمل ثلاثة أوجه: أن يكونا قاما معاً، أو أن يكون زيد سابقاً، أو عمرو سابقاً[2]. ويرى بعضهم أنها تفيد العطف والاشتراك، وليس فيها إشعارٌ بجمع ولا ترتيب[3].

وأما عطف الجملة على الجملة فلا يلزم منه التشريك في اللفظ ولا في المعنى، ولكن في الكلام خاصة؛ ليُعلم أن الكلامين في زمان واحد أو في قصد واحد، ولهذا يُعطف بها الجملة الخبرية على مثلها، وعلى الطلبية، والطلبيةُ على مثلها وعلى الخبرية، تقول: قام زيد وقعد عمرو، وقام زيد واقعد[4].

وأقول: إذا كانت الواو مفيدة في أصل وضعها للترتيب، أو لم تكن مفيدة له، فإن المتكلم قد يقدم ما هو أهم وأولى عنده، فلا يضر إن كانت الواو لا تفيد ترتيباً؛ فإن الترتيب قد يستفاد من قرائن أخرى، كدلالة السياق ونحوها. وقد جعل بعضهم ترتيب الألفاظ على حسب ترتيب المعاني في

---

[1] - انظر رصف المباني للمالقي 410 و411.

[2] - انظر الجنى الداني للمرادي 158.

[3] - انظر الجنى الداني 160 وانظر حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه للدكتور محمود سعد 36 و37.

[4] - انظر رصف المعاني للمالقي 415.

الجنان بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان ، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال[1].

النوع الأول: عطف المفرد على مثله

المسألة الأولى: تقديم النصارى على الصابئين وتأخيره

ورد لفظ النصارى مقدماً على الصابئين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة 62]

وأُخر لفظ (النصارى) عن الصابئين في موضعين:

الأول: قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج 17]

والثاني: قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة 69]

ولك أن تسأل عن سر تقديم النصارى في سورة البقرة، وتأخيره في غيرها، ولماذا ورد لفظ (الصابئين) منصوباً في الحج ومرفوعاً في المائدة؟

لكي ندرك ذلك، لا بد لنا أولاً أن نعلم أن الصابئين متقدمون في الزمان على النصارى؛ لأنهم كانوا قبلهم، وأن النصارى أشرف من الصابئين؛ لأنهم أهل كتاب، والصابئون لا كتاب لهم، فقُدم النصارى في البقرة مراعاةً لشرف كتابهم، وأُخروا في الحج؛ لتأخر زمانهم. وأما في المائدة فقد روعي المعنيان، حيث ورد (الصابئون) مقدماً في اللفظ؛ لتقدم زمانهم، ومؤخراً في التقدير؛ لوروده مرفوعاً، مع عطفه على منصوب، تقديره: والصابئون كذلك[2]. وبيان ذلك: أن (الصابئون) مرفوع بالابتداء، وهو منوي به التأخير، كقولك: إن زيداً وعمرو قائم. تريد: إن زيداً قائم وعمروٌ قائم، فحذف خبر (عمرو) ؛ لدلالة خبر (إن) عليه، والنية بقوله (وعمروٌ) التأخير[3]. وها هنا أسئلة ترد على ما سبق:

أولاً: لِم عدل عن نصب الصابئين إلى الرفع، وجعل الكلام جملتين، مع أنه مع النصب جملة واحدة، وهو أبلغ، وموفٍ بالغرض من أن الصابئين، وهم أوغل في الكفر يُتاب عليهم ؟ وهل له فائدة على النصب والعطف الإفرادي؟ وأجيب عنه[4]: بأنه لو نصبه وعطف لم يكن فيه إفهام

---

[1] – نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي 209.

[2] – البرهان للكرماني 22 مسألة 20.

[3] – هذا مذهب سيبويه والبصريين، وفيها إعراب آخر. انظر البحر المحيط لأبي حيان 531/3.

[4] – أورد هذا السؤال وجوابه ابن المنير في الإنصاف 632/1 تعليقاً على قول الزمخشري في الكشاف 631/1 : فائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان، والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم؟

خصوصية لهذا الصنف؛ لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات، وهذا من جملتها، وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الإفرادي، وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به، ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل. تقديره: والصابئون كذلك، فيجيء كأنه مقيس على بقية الأصناف. وفائدة التقديم على الخبر: أن يكون توسطُ هذا المبتدأ المحذوفِ الخبرِ ، بين الجزأين، أدلَّ على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضي الكلام وتمامه.

ثانياً: لماذا لم يُراعَ في سورة الحج رتبةُ النصارى وشرف كتابهم؟ **والجواب**: أن كثيراً من المذكورين فيها لا كتاب لهم، وهم الصابئون والمجوس والذين أشركوا ؛ فرتبوا بالأزمنة[1]. وأتبع النصارى بالمجوس؛ لأنهم أشبهتم بعض فرقهم في قولهم بإلهين، وختم الأصناف بأعم الطوائف في الضلال، وهم الذين أشركوا، كما افتتحهم بأعم الفرق في الهدى، وهم الذين آمنوا[2].

ثالثاً: لِم قُدم اليهود على الصابئين في كل الآيات، و لم يؤخروا في بعضها كما أُخر النصارى، مع أن الصابئين أسبق في الزمان؟ والجواب: أن اليهود موحدون والنصارى فيهم مشركون، فمنهم من قال (إن الله ثالثُ ثلاثة)، ولهذا قرنهم في الحج بالمجوس والمشركين، فأخرهم؛ لإشراكهم بمن بعدهم في الشرك[3].

المسألة الثانية: تقديم هارون على موسى [عليهما السلام] وتأخيره

قُدم هارون على موسى، عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه:70] وأُخر عنه في موضعين:

الأول: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء:47،48] ،

والثاني: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأعراف:121،122].

قالوا: إنما قُدم وأُخر مراعاةً للفاصلة[4]. و الفاصلة تراعى كثيراً في القرآن بقصد تحسين الكلام. وذكروا من ذلك زيادة الألف في ﴿ ٱلرَّسُولَاْ ﴾ ﴿ ٱلسَّبِيلَاْ ﴾ [الأحزاب 66 و67]، عند من قرأ بها[5]، فالألف ليست بدلاً من التنوين؛ لأن التنوين لا يكون مع الألف واللام، وإنما جيء بها لتشاكل فواصل الآيات قبلها و بعدها[6].

---

[1] – درة التنزيل للخطيب الإسكافي 21.

[2] – انظر نظم الدرر للبقاعي 24/13.

[3] – انظر كشف المعاني لابن جماعة ص 100 مسألة 34، إلا أنه وصف النصارى بأنهم مشركون، والصواب: أنهم طوائف والمشركون منهم هم القائلون بالتثليث. والثلاثة الذين يعنونهم هم: الحق سبحانه وتعالى، وعيسى عليه السلام، وأمه الصديقة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. (انظر روح المعاني للألوسي جزء 207/6).

[4] – انظر درة التنزيل للخطيب 174، وكشف المعاني لابن جماعة 187 مسألة 165، ومفتاح العلوم للسكاكي 239.

[5] – اختلف القراء في إثبات الألف وحذفها وصلاً ووقفاً، فأثبتها في الحالين: المدنيان وابن عامر وشعبة، وحذفها في الحالين: أبو عمرو ويعقوب وحمزة، وأثبتها في الوقف دون الوصل: ابن كثير والكسائي وخلف وحفص. (انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري 247/2).

[6] – درة التنزيل للخطيب 174.

وقيل إنما قُدم هارون؛ لأنه أدخل في دفع توهم أن يكون فرعون هو المراد من قـولهم (رب موسـى وهارون)؛ لأنهم لو اقتصروا على (رب موسى) لأوهم أنهم أرادوا فرعون؛ لأنه ربي موسـى عليـه السلام صغيراً، فلما أردفوه بذكر هارون زال هذا التوهم. ثم لما قُدم هارون لم يبق لهذا التوهم أثر.

وقيل: قُدم هارون عليه السلام؛ لأنه أكبر سناً، وقُدم موسى عليه السلام؛ لشرفه[1].

وها هنا بحث، وهو أن هذا الكلام من قول السحرة، فهل يعني ذلك أن الله يحكي قـولهم بلفظـه أم بمعناه؟ فإن كان بمعناه، صحَّ كل ما سبق من التوجيهات؛ لأنه من التفنن في أساليب الكلام، وأما إن كان بلفظه، فإنه يكون مشكلاً؛ لأنهم لا بد أن يكونوا قدموا أحدهما وأخروا الآخر. ولكن يمكن دفع ذلك باحتمال أن يكون بعضهم قدم موسى وبعضهم قدم هارون، ولا مانع من ذلك، خاصةً وأنهـم جماعة، وقالوا هذا القول دون تواطؤ عليه من قبل، وإنما قالوه في ساعة انبهارهم بظهور الحق، فـلا يبعد أن يكون قولهم مختلفاً. **والأولى أن يقال:** إن الواو لا تقتضي ترتيباً، والمقصود معنى ما قالوه، لا حكاية اللفظ، وإنما كان التقديم والتأخير مراعاة للفاصلة، بقصد تحسين الكلام وإخراجـه في أبهـى صورة. والله أعلم.

المسألة الثالثة: تقديم اللهو على اللعب وتأخيره

ورد اللهو واللعب متعلقين بالدِّين في موضعين، ووردا متعلقين بالدنيا في أربعة مواضع.

أما **المتعلقان بالدين**، فورد **اللعب** مقدماً على **اللهو** في قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام:70].

وورد **اللهو** مقدماً على **اللعب** في قولـه تعـالى:﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف:51]. وأما **المتعلقان بالدنيا**، فورد **اللهو** مقدماً على **اللعب** في موضع واحد، وهو قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:64] . وورد **اللعب** مقدماً على **اللهو** في ثلاثة مواضع:

أولهـا، قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام:32]. **وثانيها**، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ [محمد:36]. **وثالثها**، قولـه تعـالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ

[1] – روح المعاني للألوسي جزء 26/9.

﴿ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد:20] .

اللعب: فعلٌ في طاعة الجهل تتعجل منه مسرة[1]. **واللهو**: ما يشغل الإنسان عما يهمه ويعنيه[2]. **واللهو عن الشيء**: تركه والإعراض عنه ونسيانه، **واللعب**: هو فعل مقصود لصاحبه[3]. وأصل اللعب من اللعاب، **ولعب** فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً حسناً[4].

إذا عُلم هذا: فقد وجّه بعضهم تقديم اللعب في الأكثر بأن اللعب زمانُه الصبا، واللهو زمانُه الشباب، وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب، فناسب إعطاء المقدم للأكثر، والمؤخر للأقل[5].

وقيل: اللهو عن الشيء: تركه وإهماله والإعراض عنه ونسيانه. وفي الأعراف جاء بعد قوله ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ ، وهو ذم لهم بالإعراض عن اتباع الحق وإهماله، ولذا قال بعده ﴿ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ . وكذلك آية العنكبوت جاءت بعد قوله ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [61]، فدل على إعراضهم عن الحق مع علمهم به. وأما المواضع الأخر فجاء في ذم الدنيا والاشتغال عن الله بلعبها ولهوها وزينتها[6]. وهو وجه حسن لولا أن المواضع الأخرى التي قُدم فيها اللعب ليست كلها في سياق ذم الدنيا، فآية الأنعام [70] متعلقة بالدين، كما مر تفصيله.

والأولى الفصل بين المسألتين، أي: تعلق اللهو واللعب بالدين، وتعلقهما بالدنيا. أما **المتعلقان بالدين** فقدم اللعب في الأنعام [70]؛ لأنها في قوم مخصوصين من الكفار، كانوا إذا سمعوا آيات الله استهزءوا وتلاعبوا بها، وأجروها مجرى أفعال يُستروح إليها لا نفع في عقباها، فهذا لعبهم، ثم شُغلوا بدنياهم عن تدبرها، فهذا لهوهم. وأما آية الأعراف [51]، فقُدم اللهو؛ لأنها لعامة الكفار غير مختصة بمن سمع الآيات، فقُدم فعل أكثرهم على أقلهم؛ إذ شغلتهم الدنيا وحلاوتها، فهذا لهوهم، ثم إن أفعالهم لما طابت لهم و لم يجدوا لها نفعاً في العاقبة، أشبهت اللعب، الذي ينطوي على أفعال تبطل في الآجل، وإن سرت في العاجل، وهذا بعد الأول. وأكثر الكفار داؤهم اللهو، فقدم هنا لوجهين:

---

[1] – انظر درة التأويل للإسكافي 121.

[2] – انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني 475 (لهي).

[3] – كشف المعاني لابن جماعة 175 مسألة 146.

[4] – مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني 471 (لَعب)

[5] – انظر فتح الرحمن لزكريا الأنصاري 90 مسألة 299.

[6] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 175 مسألة 146.

لتقدمه على ما هو كاللعب، ولأنه فعل أكثرهم[1]. وقيل: قُدم اللهو في الأعراف؛ لأن ذلك في يوم القيامة، فذُكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما به انتهى من الحالتين[2].

وأما **المتعلقان بالدنيا**، فتقديم اللعب في مواضعه الثلاثة حسب وجوده؛ فإن زمان اللعب، وهو الصبا متقدم على زمان اللهو، وهو زمن الشباب.

يدل عليه ما في سورة الحديد [20]؛ لأنها جاءت على حسب ترتيب الحياة الدنيا، فهي مقسومة من الصبا، وهو وقت اللعب، وبعده اللهو وهو الترويح عن النفس بملاعبة النساء، ثم أخذ الزينة لهن ولغيرهن، ومن أجل الزينة نشأت مباهاة الأكفاء ومفاخرة النظراء، ثم بعده المكاثرة بالأموال والأولاد، فترتيب الحياة على هذه الأحوال، فوجب تقديم اللعب[3].

وإنما قُدم اللهو في العنكبوت؛ لأن المقصود المبالغة في قصر مدة الدنيا بالإضافة إلى المدة الأخرى، وهي أزمنة تُستقصر لشغل النفس بحلاوة ما يستعجل، فقُدم اللهو؛ لأن الأزمنة التي يقصرها اللهو أكثر من التي يقصرها اللعب؛ لأن التشاغل به أكثر، فقُدم ما يكثر على ما هو دونه؛ لأن ذلك آخذ بالشبه وأبلغ في وصف المشبه[4].

المسألة الرابعة: تقديم الإنس والناس و الجن والجان والجنة وتأخيره

تقدم **الإنس** على **الجن** في ثلاثة مواضع هي:

الأول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:112].

الثاني: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:88].

الثالث: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الجن:5].

وتقدم **إنس** على **جان** في ثلاثة مواضع هي:

الأول: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن:39] .

الثاني: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن:56].

الثالث: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن:74] .

وتقدم **الجن** على **الإنس** في أكثر المواضع، وهي:

[1] – درة التأويل للإسكافي 121 و122.

[2] – البرهان للكرماني 49 مسألة 100.

[3] – درة التأويل 122.

[4] – درة التأويل 124.

الأول: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام:130]. **الثاني**: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:38]. **الثالث**: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:179]. **الرابع**: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل:17]. **الخامس**: ﴿ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت:25]. **السادس**: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ [فصلت:29]. **السابع**: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [الأحقاف:18]. **الثامن**: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذّاريات:56]. **التاسع**: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن:33].

وتقدمت **الجنة** على **الناس** في ثلاثة مواضع:

الأول: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [هود:119]. **الثاني**: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [السجدة:13]. **الثالث**: ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:6].

ورد في الآيات السابقة لفظ الجن والجنة والجان، فما حقيقة هذه الألفاظ الثلاثة؟

أصل الكلمة سترُ الشيء عن الحاسة. أما الجن فإنه يطلق على وجهين: أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الجن، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين، فكل ملائكة جن، وليس كل جن ملائكة، والثاني لبعض الروحانيين، وذلك أن الروحانيين ثلاثة: أخيار وهم الملائكة، وأشرار وهم الشياطين، وأوساط فيهن أخيار وأشرار، وهم الجن، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ

وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ ﴾ [الجن:14]. وأما الجِنة، فهي جماعة الجن، وقد يُراد بها الجنون. وأما الجان فنوع من الجن[1].

إذا عُلم هذا، فإن الجن قد قدموا في أكثر المواضع، و لم يُقدم الإنس إلا في ستة منها، فما وجه ذلك وسره؟ قيل: قدم الإنس في بعضها؛ لشرفهم، وقُدم الجن في بعضها؛ لأنهم أقدم خلقاً، أو لأن خلقهم أعجب وأغرب، أو لأنهم أقوى أجساماً وأعظم أقداماً[2]. وهذا القول لا يشفي غليلاً، فإنه يرِد عليه: لماذا كان التقديم بالشرف تارةً وبالزمان تارةً؟. وقيل: قدم الجن على الإنس؛ لأن (الإنس) أخف لفظاً بسبب النون الخفيفة والسين المهموسة، فقدم الأثقل؛ لأنه أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم[3]. ويرد عليه: لماذا كان اللفظ خفيفاً في بعضها وثقيلاً في بعضها؟ وقيل: قدم الجن في أكثر المواضع؛ لأنهم يدخل معهم الملائكة، وهم أشرف من الإنس[4]، بخلاف المواضع التي قُدم فيها الإنس؛ فإن الملائكة لا تدخل في لفظ الجن؛ إذ لا يُتصور منهم المعصية[5]، وهي في ثلاثة مواضع: في قوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ [الرحمن:56 و74] وقوله تعالى: ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴾ [الرحمن:39]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الجن:5] . وهذا بناءً على أن الملائكة أفضل من الإنس، وليس ذلك مسلَّماً به، بل الإنس أفضل؛ لأن فيهم الأنبياء وسيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ووجه بعضهم تقديم الإنس في قوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ [الرحمن:56 و74] بأن النفي تابع لما تعقله القلوب من الإثبات، فيرد النفي عليه، وعِلم النفوس بطمس الإنس ونفرتها عن طمثها الرجال هو المعروف، فجاء النفي على مقتضى ذلك، فكان تقديم الإنس في هذا النفي أهم. ووُجه تقديم الإنس في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الجن:5] ، بأن هذا حكاية كلام مؤمني الجن حين سماع القرآن، وأول من خوطب بالقرآن هم الإنس، ونزل على نبيهم، وهم أول من بدأ بالتصديق والتكذيب قبل الجن، فجاء قول مؤمني الجن بتقديم الإنس؛ لتقدمهم في الخطاب بالقرآن، وتقدمهم في التصديق والتكذيب، وكذلك فإن الجن قالوا هذا القول لقومهم بعد أن رجعوا، فتقديمهم للإنس أحسن في الدعوة وأبلغ في عدم التهمة، حتى لا يظن بهم قومهم أنهم ظاهروا الإنس عليهم[6]. وهذا كلام نفيس لا مزيد عليه.

---

[1] – مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني 96 و97 (جن).

[2] – انظر البرهان للزركشي 257/3.

[3] – نتائج الفكر للسهيلي 209.

[4] – نتائج الفكر 211.

[5] – نتائج الفكر 212.

[6] – بديع الفوائد لابن قيم الجوزية 66/1.

بقيت ثلاثة مواضع من التي قُدم فيها الإنس، ينبغي النظر فيها. أما قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام 112]، فإن الآية جاءت تسليةً للنبي صلى الله عليه وسلم عن شدة عداوة قريش، فكان الأولى تقديم الإنس؛ لأن أشد ما لقيهم النبي منهم.

وأما قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ [الإسراء 88]، فلأنها تحدٍ للثقلين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقدم الإنس؛ لأنه نزل بلسانهم، ولأنهم هم أهل البيان والفصاحة، ولأن النبي المرسَل منهم. وقيل: قدمهم لسهولة اجتماعهم بهم[1]. وأما قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن:39]، فلأنه قدم ذكر خلق الإنسان على خلق الجان في الآية رقم 14، بل قدمه في أول السورة بعد الابتداء بالرحمن وتعليم القرآن. وما ذلك إلا لأن القرآن نزل بلسانهم وعلى النبي المرسل منهم، فهم أول المنتفعين به. فتقديمه هنا متسق مع ما قبله من الكلام، مع ما فيه من الجمال بسبب الفاصلة، التي تنتهي بالألف والنون، فتشاكل ما قبلها وما بعدها. والله أعلم.

وأما الآيات التي قُدم فيها الجن، فوجوهها ظاهرة، ففي قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام 130]؛ فلأنهم كانوا السبب في إغواء الإنس، ويشهد له الآية التي قبلها: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام:128]، فاستكثارهم بهم كان بإغوائهم لهم، فبدأ بخطاب الجن، ثم لما ذكرهم بعثة الرسل بدأ بهم كذلك. وقيل: لأن السياق لبيان غلبتهم[2].

وقريب منه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [فصلت 29]، فبدأ الكفار بطلب رؤية الجن؛ لأنهم كانوا سبب الإغواء. وكذلك قُدم الجِنةُ على الناس عند الاستعاذة في قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:6]؛ لأن شرورهم في الإغواء أكثر، وعداوتهم لهم أظهر. والله أعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأعراف 38] وقوله تعالى: ﴿ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [فصلت 25 والأحقاف 18]؛ فلأنه حديث عن أمم خالية قُدم الجن؛ لتقدم خلقهم. وكذلك فلأنهم الأصل في الإغواء[3]، ولأن العرب كانت تستعظمهم وتستجير بهم[4]، على ما فيه من تقديم الأقوى؛ لتُفهم القدرة عليه أن القدرة على من دونه من باب الأولى[5]. وأظهر منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

[1] – نظم الدرر للبقاعي 508/11.
[2] – نظم الدرر 271/7.
[3] – انظر نظم الدر 397/7 في توجيه آية الأعراف رقم 38.
[4] – انظر المصدر نفسه 157/18 في توجيه آية الأحقاف رقم 18.
[5] – انظر المصدر نفسه 176/17 في توجيه آية فصلت رقم 25.

﴾ [الأعراف 179] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذّاريات:56]، فإنه صريح في الخلق، فلا غرو قدم الأقدم خلقاً.

وأما تقديم الجنة على الناس في قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود:119 و السجدة 13] ، فهو أيضاً من باب التقديم بالزمان؛ لأن قبلها في هود: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ وفي السجدة: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾ ، وهو يدل على أن دخول الفريقين جهنم قضاء مبرم وأمر نافذ، فهو قديم منذ الأزل، فقدم الأقدم خلقاً. وكذلك، هناك إشارة إلى الخلق في السورتين، ففي هود في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ في الآية نفسها، وفي السجدة [7] في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ ثم تحدثت الآيات بعدها عن أطوار خلق الإنسان، وحتى موته. لكل ذلك كان الترتيب بالزمان أولى، والله أعلم.

وأما قوله تعالى:﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل:17]، فقدم الجن، إما لقوتهم، وإما لأن أمرهم أعجب[1]. ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ﴾ ، فإن الجن هم الأقوى والأقدر على الصعود إلى السماء[2]، بدليل ما يُسلط عليهم من الشهاب الثاقب، حين استراق السمع، فقُدموا لذلك. والله أعلم.

المسألة الخامسة: تقديم قارون على فرعون وتأخيره

قُدم قارون على فرعون وهامان في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ [العنكبوت:39] ، وأخّر عنهما في قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [غافر:24]

ذكروا في توجيه تقديم قارون أربعة أوجه[3]:

أولها: لما وصف الله سبحانه وتعالى عاداً وثمود بأنهم كانوا مستبصرين في قوله: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت:38]، بدأ بقارون؛ لأنه كان أشد القوم بصيرة؛ لمعرفته وحفظه التوارة[4].

---

[1] – البرهان للزركشي 3/ 258.

[2] – إعجاز القرآن لفضل حسن عباس 223.

[3] – انظر روح المعاني للألوسي 158/20.

[4] – كشف المعاني لابن جماعة 290 مسألة 333.

ثانيها: في تقديم قارون تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، بسبب ما لقي منهم بسبب حسدهم، كما كان قارون من قوم موسى عليه السلام، وقد لقي منه ما لقي.

ثالثها: قدم قارون ؛ لأن هلاكه كان قبل هلاك فرعون وهامان، فقدم على حسب الواقع.

رابعها: قُدم قارون؛ لأنه أشرف من فرعون وهامان،؛ لإيمانه في الظاهر وعلمه بالتوراة، وقرابته من موسى عليه السلام، ويكون في تقديمه في مقام الغضب إشارة إلى أن نحو هذا الشرف لا يفيد صاحبه.

وهذه الأقوال كلها حسنة، أحسنها الأول. وأما تقديم فرعون وهامان على قارون في الآية الأخرى؛ فلأنها في سياق الرسالة[1]، ففي الآية قبلها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾، والرسالة إلى قارون كانت بعد فرعون وهامان. هذا إذا كان المراد من قارون في آية غافر صاحب موسى، عليه السلام. وقد قيل: هو غيره، كان مقدم جنود فرعون[2]. فإن كان كذلك، فلا إشكال في تأخيره عنهما؛ لأنه من الأتباع وهو أدنى رتبةً من هامان، وقُدم فرعون عليهما؛ لأنه الملك.

المسألة السادسة: تقديم ضمير المخاطبين على الغائبين وتأخيره

تقدم ضمير المخاطبين على ضمير الغائبين في قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:151] .

وتقدم ضمير الغائبين على ضمير المخاطبين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:31] .

في سورة الأنعام الخطاب لقوم فقراء؛ لقوله (مِن إملاقٍ)، أي: واقع بكم. وإذا كانوا كذلك، فإنهم يكونون مشغولين برزق أنفسهم قبل أن يُشغلوا برزق أولادهم، الذين يريدون أن يتخلصوا منهم بسبب هذا الفقر ، فيأتي الخطاب من الله لهم ليطمئنهم أنه يرزقهم ويرزق أولادهم، فقدم ضمير الآباء؛ لأنهم مغتمون بسبب حالة الفقر التي يعيشونها، فكانت أنفسهم أهم لهم، فقدم رزقهم على رزق أولادهم. وأما في الإسراء فإنها في قوم ليسوا فقراء، ولكنهم يخشون من الفقر إن شاركهم أبناؤهم في الرزق. يدل عليه قوله تعالى: (خشية إملاق). ولهذا جاء الخطاب من الله بأنه يرزق أولادهم ويرزقهم، فقدم الأولاد؛ لأنهم يريدون قتلهم خوف الفقر المتوقع، فناسب أن يطمئنهم الحق، سبحانه وتعالى، بأنه متكفل برزق هؤلاء الأبناء، كما أنه متكفل برزق الآباء[3].

---

[1] – كشف المعاني: الصفحة نفسها.

[2] – انظر روح المعاني 61/24.

[3] – انظر درة التأويل للإسكافي 136، والبرهان للزركشي 285/3، والبرهان للكرماني 99 مسألة 33، وكشف المعاني لابن جماعة 169 مسألة 137.

النوع الثاني: عطف جملة على مثلها

المسألة الأولى: تقديم الشفاعة على الفدية وتأخيرها

قُدم قبول الشفاعة على أخذ العدل، وهو الفدية في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:48]

وقُدم قبول العدل على نفع الشفاعة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:123]

ذُكر في هاتين الآيتين أربعة أشياء يمتنع وقوعها في الآخرة، مع أنها هي التي يدفع بها الشدائد في الدينا. وذلك أن من يقع في مكروه قد يجد مَن يخلصه مما هو فيه، فإن عدِم ذلك لجأ إلى الشفاعة والملاينة، فإن لم تنفعه لجأ إلى الفدية بالمال ونحوه، فإن لم يُجدِ ذلك كله لجأ إلى المناصرة بالأهل والعشيرة والأصحاب[1]. وهذه الأمور الأربعة لا تنفع أصحابها في الآخرة، وهي في الدنيا مرتبة على هذا الترتيب. ولكنك تلاحظ تقديم قبول الشفاعة في الأولى، على أخذ الفدية، وتقديم قبول العدل في الثانية على نفع الشفاعة، فما سر ذلك؟

قيل: قدم الشفاعة قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله. وأخرها في الأخرى؛ لأن التقدير في الآيتين: لا يُقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة؛ لأن النفع بعد القبول. وقدم العدل في الآية الأخرى؛؛ ليكون لفظ القبول مقدماً فيها[2].

وقيل: لما كان الأمر مختلفاً عند الناس في الشفاعة والفدية، فمن يغلب عليه حب الرياسة قدم الشفاعة، ومن يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعة، جاءت هذه الجمل هنا مقدماً فيها الشفاعة، وجاءت الفدية مقدمة عليها في جملة أخرى؛ ليدل على اختلاف الأمرين[3]. وبُدئ في الآية الأولى بالشفاعة؛ لأن ذلك أليق بعلو النفس، وجاء فيها بلفظ القبول وفي الأخرى بلفظ النفع؛ إشارةً إلى انتفاء أصل الشيء وانتفاء ما يترتب عليه. وبُدئ في الأولى بالقبول؛ لأنه أصل للشيء المترتب عليه، فقدمه ذكراً؛ لتقدمه وجوداً، وأخر هناك النفع ، فأخره ذكراً؛ لتأخره وجوداً[4].

وقيل: الضمير في (ولا يُقبل منها) يحتمل أن يعود على النفس الثانية العاصية، وهي التي يؤخذ منها العدل، ومعنى (ولا يقبل منها شفاعة): إن جاءت بشفاعة شفيع لا يُقبل منها. ويجوز عود الضمير إلى النفس الأولى، على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئاً، ولو أعطت عدلاً

---

[1] – انظر البحر المحيط لأبي حيان 192/1، وانظر درة التأويل للإسكافي 12.

[2] – انظر البرهان للكرماني 19 مسألة 14.

[3] – انظر التفسير الكبير للرازي 78/2، والبحر المحيط لأبي حيان 192/1.

[4] – انظر البحر المحيط لأبي حيان 192/1.

لم يؤخذ منها[1]. وبناءً عليه: **قيل** إن الضمير في (ولا يُقبل منها شفاعة) راجع إلى الأولى، وهي الشافعة لغيرها؛ لأن المراد في هذه الآية ذكر الشفاعة للمشفوع له؛ فأخبر أن الشفاعة غير مقبولة للمشفوع احتقاراً له وعدم احتفاء به، وهذا يكون باعثاً للسامع في ترك الشفاعة، فيكون ذلك مُيئساً لليهود في زعمهم أن آباءهم ينفعونهم من غير عمل. وأما (ولا يُؤخذ منها عدل)، فالضمير في (منها) إن عاد إلى الشافع أيضاً؛ فقد جرت العادة أن الشافع إذا أراد أن يشفع دفع إلى المشفوع عنده شيئاً؛ ليكون مؤكداً لقبول شفاعته، فقدم ذكر الشفاعة على دفع العدل. وأما إن عاد الضمير في (منها) إلى المشفوع فيه، فهو أحرى بالتأخير؛ ليكون الشافع قد أخبره بأن شفاعته قد قُبلت، فتقديم العدل ليكون ذلك مؤسساً لحصول مقصود الشفاعة وهو ثمرها للمشفوع فيه[2]. وأما الآية الثانية فالضمير في (منها عدل) راجع إلى النفس الثانية، وهي صاحبة الجريمة، فقدم العدل ؛ لأن العادة بذل العدل من صاحب الجريمة يكون مقدماً على الشفاعة فيه؛ ليكون ذلك أبلغ في تحصيل مقصوده. وفي هذه الآية بيان أن النفس المطلوبة بجرمها لا يُقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها، وقد بُذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه؛ ولهذا قال في الأولى (ولا يُقبل منها شفاعة) وفي الثانية (ولا تنفعها شفاعة)؛ لأن الشفاعة إنما تُقبل من الشافع وتنفع المشفوع فيه[3].

المسألة الثانية: تقديم الأمر بكيفية دخول الباب على الأمر بكيفية القول وتأخيرها

تقدم الأمر بكيفية دخول الباب على الأمر بكيفية القول في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:58] ، وعُكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:161]

قيل:إن الاختلاف في هذا وما أشبهه من حكاية أقوال الأمم السابقة، لم يُقصد به حكاية الألفاظ بأعيانها؛ لأن لغاتهم غير العربية، وإنما قُصد المعنى، فكان مخيراً بتأديته بأي لفظ أراد من تقديم وتأخير بحرف لا يدل على ترتيب، كالواو، ولو قصد حكاية اللفظ ثم وقع في المحكي اختلاف لم يجز[4].

وقيل: يحتمل أن يكون بعض القوم مذنبين وبعضهم غير مذنبين، فالمذنب لا بد أن يكن اشتغاله بحط الذنوب مقدماً على الاشتغال بالعبادة؛ لأن التوبة عن الذنب مقدمة على الاشتغال بالعبادة، فكان تكليف هؤلاء أن يقولوا حطة ثم يدخلوا الباب سجداً، وأما من لم يكن مذنباً فالأولى به أن يشتغل

[1] – انظر الكشاف للزمخشري 279/1.

[2] – انظر البرهان للزركشي 125/1.

[3] – انظر البرهان : الصفحة نفسها.

[4] – انظر درة التأويل للإسكافي 16.

بالعبادة، ثم يذكر التوبة على سبيل هضم النفس وإزالة العجب في فعل تلك العبادة، فهؤلاء يجب أن يدخلوا الباب سجداً، أولاً ثم يقولوا حطة ثانياً، فلما احتمل كون المخاطبين منقسمين إلى هذين القسمين، ذكر الله تعالى حكم كل واحدة في سورة[1].

وقيل: ناسب تقديم الأمر بدخول الباب سجداً مع تركيب (ادخلوا هذه القرية) ؛ لأنه فعل دال على الخضوع والذلة، و(حطة) قول، والفعل أقوى في إظهار الخضوع من القول، فناسب أن يذكر مع مبدأ الشيء، وهو الدخول، ولأن قبله (ادخلوا) فناسب الأمرُ بالدخول للقرية الأمرَ بدخول باها على هيئة الخضوع، ولأن دخول القرية لا يمكن إلا بدخول باها، فصار باب القرية كأنه بدل من القرية أعيد معه العامل، بخلاف الأمر بالسكنى[2].

وقيل: في آية البقرة افتتح ذكر بني إسرائيل بتذكيرهم بنعمه عليهم، فناسب ذلك عدة أمور، منها: نسبة القول إليه (وإذ قلنا)، ومنها: قوله (رغداً)، ومنها: تقديم (وادخلوا الباب سجداً)، وغير ذلك. وأما في الأعراف فافتتحت بما فيه توبيخهم؛ لقولهم (اجعل لنا إلهاً)، ثم اتخاذهم العجل، فناسب أن يذكروا بلفظ (وإذ قيل)، وترك (رغداً)، وتقديم ذكر الخطايا على دخول الباب، وغير ذلك[3].

وحاصله: أن السياق في آية البقرة يقتضي تقديم الدخول السار للنفوس والسجود المقرب للمولى سبحانه؛ لأنها في تعداد النعم على بني إسرائيل. وأما في سورة الأعراف فالسياق يقتضي تقديم قول (حطة)؛ لأن السياق في ذكر قبائح بني إسرائل[4]. وهذا هو القول المختار، مع الأخذ في الاعتبار أن الواو لا تقضي ترتيباً، فهم أُمروا بالأمرين معاً، أي: دخول الباب سجداً وقول حطة، وإنما كان الترتيب في الآيتين مراعاة للسياق، والله أعلم.

المسألة الثالثة: تقديم العذاب على المغفرة وتأخيره

تقدم العذاب على المغفرة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:40]

وتقدم ذكر المغفرة على العذاب في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:129] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة:18]

[1] – انظر التفسير الكبير للرازي 125/2. وانظر غرائب القرآن للنيسابوري 325/1.

[2] – انظر البحر المحيط لأبي حيان 409/4.

[3] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 96 مسألة 29.

[4] – انظر نظم الدرر للبقاعي 393/1 و136/8.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفتح:14] .

وتقدم العذاب على الرحمة في قوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت:21] .

قيل: قدم العذاب في المائدة؛ لأنها نزلت بعد ذكر السارق والسارقة، وعذابهما يقع في الدنيا، فقدم لفظ العذاب. وفي غيرها قدم لفظ المغفرة رحمة منه وترغيباً للعباد في المسارعة إلى مرضاته[1].

وقيل: قدم التعذيب في المائدة؛ لأن السياق للوعيد، فناسب تقديم ما يليق به من الزواجر[2].

وقيل: قدم العذاب؛ لتقدم ما يصنع بالمحارب من العذاب وبالسارق من القطع، فذكر التعذيب أولاً أردع له، وأطلق التعذيب، فجاز أن يراد به التعذيب في الدنيا، أو في الآخرة أو كليهما[3].

وقيل: تقدم المغفرة على العذاب؛ لتقدم رحمته على غضبه[4]. وأما تقديم العذاب في المائدة؛؛ فلأن التعذيب للمصر على السرقة، والمغفرة للتائب منها، وقد قدمت السرقة في الآية الأولى أولاً ثم ذُكرت التوبة بعدها، فجاء هذا اللاحق على ترتيب السابق، أو لأن المراد بالتعذيب: القطع، وبالمغفرة: التجاوز عن حق الله تعالى، والأول في الدنيا، والثاني في الآخرة، فجيء به على ترتيب الوجود، أو لأن المقام مقام الوعيد، أو لأن المقصود وصفه تعالى بالقدرة، والقدرة في تعذيب من يشاء أظهر؛ لأنه لا إباء في المغفرة من المغفور، وفي التعذيب إباء بين[5].

وأما في العنكبوت فقدم العذاب؛ لأن إبراهيم عليه السلام خاطب به نمروذ وأصحابه، ولأن العذاب وقع بهم في الدنيا[6]. وقيل: لأن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب، فالآية مسوقة لتهديد المكذبين[7].

المسألة الرابعة: تقديم حال زكريا [عليه السلام] على حال زوجته وتأخيره

تقدم ذكر حال زكريا عليه السلام من بلوغ الكبر، على حال زوجته من كونها عاقراً، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:40] وعُكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم:8]

---

[1] - البرهان للكرماني 141 مسألة 375. وكشف المعاني لابن جماعة 123 مسألة 67.

[2] - الإنصاف لابن المنير 612/1.

[3] - النهر الماد لأبي حيان 485/3.

[4] - انظر روح المعاني للألوسي 3 /65.

[5] - انظر روح المعاني للألوسي 135/6..

[6] - البرهان للكرماني: الصفحة ذاتها والمسألة عينها.

[7] - انظر غرائب القرآن للنيسابوري 88/20 وانظر روح المعاني للألوسي 135/6.

قيل: قدم ذكر المرأة في سورة مريم؛ لأنه تقدم فيها ذكر الكبر في قوله: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:4] ، وتأخر ذكر المرأة في قوله: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [مريم:5] ، ثم أعاد ذكرها ، فأخر ذكر الكبر؛ ليوافق (عتياً) ما بعده من الآيات[1]، وهو باب مقصود في الفصاحة إذا لم يُخل بالمعنى، والعطف هنا بالواو، فليس التقديم والتأخير مشعراً بتقدم زمان، وإنما هو من باب تقديم المناسب في فصاحة الكلام[2].

وقيل: قدم ذكر الكبر على ذكر المرأة؛ لأن الذَكر مقدم على الأنثى، وأخر في مريم؛ لتتوافق مع رءوس الآيات[3].

وقيل: لا تراعى الألفاظ في الحكاية، إنما المعاني المدرجة في الحكاية[4].

المسألة الخامسة: تقديم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة وتأخيرها

تقدم تعليم الكتاب والحكمة على التزكية في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:129] .

وتقدمت التزكية على تعليم الكتاب والحكمة في سائر الآيات، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:164].

ومنها قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:151].

ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2].

الآية التي تأخرت فيها التزكية هي من دعاء أبينا إبراهيم عليه السلام، لهذه الأمة، وهو ترتيب على حسب الوجود؛ لأن تلاوة الآيات تكون أولاً، ثم يتلوها تعليم الكتاب، ببيان أحكامه، ثم تعليم الحكمة، وهي السنة تبين ما في الكتاب من المجمل أو تزيح المشكل، ثم تكون التزكية باطناً من أرجاس الشرك وأنجاس الشك، وظاهراً بالتكاليف التي تمحص الآثام.

وأما في الآيات الأخرى فهي في باب الامتنان على هذه الأمة بهذا النبي الكريم، فوسط التزكية ، التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها، بحسب القوة

---

[1] – انظر البرهان للكرماني 34 مسألة 55.

[2] – انظر البحر المحيط لأبي حيان 450/2.

[3] – فتح الرحمن لزكريا الأنصاري 5 مسألة 146. وانظر كشف المعاني لابن جماعة 128 مسألة 74.

[4] – ذكره أبو حيان عن الماتريدي. انظر البحر المحيط 450/2.

النظرية، الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة؛ للإيذان بأن كل واحد من هذه الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها، مستوجبة للشكر، ولو روعي ترتيب الوجود كما في الآية السابقة التي جاءت في دعاء إبراهيم عليه السلام، لتبادر إلى الفهم عدّ الجميع نعمة واحدة. وهذا هو السر بالتعبير عن القرآن بالآيات تارةً، وبالكتاب والحكمة تارةً أخرى[1].

وقد **يقال**: المراد من تلاوة الآيات : ما يُوحى إليه صلى الله عليه وسلم من الآيات الدالة على التوحيد والنبوة، ومن التزكية: الدعاء إلى الكلمة الطيبة المتضمنة للشهادة لله تعالى بالتوحيد، ولنبيه بالرسالة، وبتعليم الكتاب: تعليم ألفاظ القرآن، وكيفية أدائها؛ ليتهيأ لهم بذلك إقامة عماد الدين، وبتعليم الحكمة: الإيقاف على الأسرار المخبوءة في خزائن كلام الله تعالى. وحينئذ يكون أمر ترتيب هذه المتعاطفات ظاهراً؛ إذ حاصل ذلك: أنه عليه الصلاة والسلام، يُمهِّد سبيل التوحيد ويدعو إليه ، ويُعلم ما يلزم بعد التلبس به، ويزيد على الزبد شهداً، فتقديم التلاوة؛ لأنها من باب التمهيد، ثم التزكية بعده، وهي أول أمر يحصل في صفة يتلبس بها المؤمنون، وهي من قبيل التخلية المقدمة على التحلية؛ لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، ثم التعليم؛ لأنه إنما يُحتاج إليه بعد الإيمان. بقي أمر تقديم التعليم على التزكية في آية البقرة، ولعله كان إيذاناً بشرافة التحلية[2].

المسألة السادسة: تقديم الكتاب على القرآن وتأخيره

قُدم الكتاب مضافاً إلى (آياتُ)، ومعطوفاً عليه (قرآن) موصوفاً بـ (مبين)، في قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر:1].

وقُدم القرآن مضافاً إلى (آياتُ) ، ومعطوفاً عليه (كتاب)، موصوفاً بـ(مبين)، في قوله تعالى: ﴿ طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل:1].

قيل: لا فرق بينهما، فهو كالمتعاطفين في نحو: جاء زيد وعمروٌ، فتارةً يظهر ترجيح، وتارةً لا يظهر[3]. وقيل قُدم القرآن في النمل؛ لأنه عقبه سبحانه بالحديث عن الخصوص؛ لأنه أدل على خصوص المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم للإعجاز. وقيل: قدم الوصف الأول نظراً إلى حال تقدم القرآنية على حال الكتابية، وعكس في الحجر؛ لأن المراد تفخيمه من حيث اشتماله على كمال جنس الكتب الإلهية، حتى كأنه كلها، ومن حيث كونه ممتازاً عن غيره نسيج وحده بديعاً في بابه. والإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب، بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل

[1] – انظر روح المعاني للألوسي 114/4.

[2] – انظر روح المعاني: الصفحة ذاتها.

[3] – انظر الكشاف للزمخشري 134/3، والبحر المحيط لأبي حيان 53/7.

في المدح؛ لئلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره الاستقلال بأوصاف خاصة بـه، مـن غـير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة[1].

وقيل: قدم الكتاب في الحِجر؛ لأن الغالب في هذه السورة القطع، الذي هو من لوازم الكتاب، وذلك أن قطع بالأجل، والملائكة وحفظ الكتاب والرمي بالشهب وكفاية المستهزئين. وقـدم القـرآن في النمل؛ لأن العناية في السورة بالنشر، الذي هو من لوازم الجمع في مادة (قرأ) أكثـر، ويـدل عليـه انتشار أمر موسى عليه السلام في أكثر من قصة[2].

ويمكن أن **يقال**: أن آية النمل جاء بعدها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمـل:6] ، فهو دليل على المشافهة بالقرآن، فكان لفظ القرآن أولى بالتقديم، وأما في الحجر فقـد جاء فيها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجـر:9]، ومن أقوى أسـباب حفظ القرآن كتابته في المصاحف، بحيث ظل هكذا عبر القرون، لم يستطع الأعداء أن يغـيروا منـه حرفاً، فناسب ذلك تقديم وصفه بالكتاب، والله أعلم.

المسألة السابعة: تقديم خلق السموات والأرض على اختلاف الليل والنهار

تقدمت الإشارة إلى خلق السماوات والأرض على الإشارة إلى اختلاف الليل والنهار في قوله تعـالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمـران:190]. وعُكس ذلـك في قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:6] .

في سورة آل عمران [189] لما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، أتبعـه بـذكر خلقهما، ثم باختلاف الليل والنهار. وأما في يونس [5] فقـد قـال سـبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ ، ومعرفة عـدد السنين والحساب إنما يكون باختلاف الليل والنهار، فناسب ذلك أن يتبعه باختلاف الليل والنهار[3].

المسألة الثامنة: تقديم شهادة الأمة على شهادة النبي عليه السلام وتأخيرها

تقدمت شهادة الأمة على شهادة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعـالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:143] .

---

[1] – انظر روح المعاني للألوسي 155/19، و2/14.

[2] – انظر نظم الدرر للبقاعي 3/11.

[3] – كشف المعاني لابن جماعة 135 مسألة 86.

وتــأخرت عنــها في قولــه تعــالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج:78].

الأصل تقديم شهادة الأمة كما في البقرة؛ لأن الخطاب معهم، وليقع الختم علـى شـهادة الرسول عليه السلام، كما هو الواقع، ولكنه عكس الترتيب في الحج ، فأخر شهادة الأمة؛ ليُناط بـه ما كلفهم به من الصلاة والزكاة والاعتصام بالله وحده[1].

ثم إنه في سورة البقرة قدم (عليكم) على (شهيداً) في شهادة الرسول صلى الله عليـه وسـلم ، دون شهادة الأمة، وفي سورة الحج تأخرت عنها في الشهادتين. أما في البقرة فـأخرت صـلة الشـهادة بالنسبة للأمة؛ لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم، فبقيت صلة الشهادة في موضعها، وأما تقديمها في شهادة الرسول؛ فالغرض اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم، فأزيلت عن مركزها، لتفيـد الاختصاص[2] .

وأما في الحج فأخرت صلة الشهادتين، أي: شهادة الرسول وشهادة الأمة؛ لأن الغرض هـو إثبـات الشهادة فيهما، وليس فيها قصد للاختصاص. وذلك لأن السياق لإثبات مطلق وصـف الإسـلام[3]. والله أعلم.

المسألة التاسعة: تقديم الخبر على قبس النار وتأخيره

تقدم ذكر القبس من النار على ذكر الخبر في كلام موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾ [طه:10].

وتأخر عنه في قوله تعـالى: ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [النمل:7] ، وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [القصص:29] .

التقديم والتأخير في كلام موسى عليه السلام في هذه القصص، ليس المقصود منه حكاية اللفظ؛ لأن لغته غير العربية، وإنما المقصود بيان المعاني التي اشتملت عليها[4]. وإنما التـأخير والتقـديم تنويـع في

---

[1] – انظر غرائب القرآن للنيسابوري 125/17.

[2] – انظر غرائب القرآن للنيسابوري 11/2.

[3] – انظر نظم الدرر 103/13.

[4] – درة التأويل للخطيب 293.

الخطاب وتفنن في الفصاحة، ولهذا روعي فيه رءوس الآيات، فقدم القبس؛ لتكون (هدى) رأس آية موافقة لآيات السورة المجاورة لها، وأخر القبس في غيرها لتوافق (تصطلون) رءوس الآي في السورتين[1].

النوع الثالث: ما كان بعضه من عطف المفردات وبعضه من عطف الجمل

المسألة الأولى: تقديم النفع على الضر وتأخيره

تقدم النفع على الضر في ثمانية مواضع، ثلاثة منها بلفظ الاسم، وهي من عطف المفردات، وخمسة منها بلفظ الفعل، وهي من عطف الجمل. فالتي بلفظ الاسم **أولها** قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف:188]. **وثانيها** قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:16] . **وثالثها** قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ:42].

وأما التي بلفظ الفعل التي هي من عطف الجمل، **فأولها** قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:71] . **وثانيها** قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:106]. **وثالثها** قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴾ [الأنبياء:66] . **ورابعها** قوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴾ [الفرقان:55] . **وخامسها** قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء:73] .

وتقدم الضر على النفع في ثمانية مواضع كذلك، خمسة بلفظ الاسم، أحدها من عطف الجمل، وأربعة منها من عطف المفردات. ومنها ثلاثة بلفظ الفعل، وهي كلها من عطف الجمل.

[1] – انظر البرهان للكرماني 114 مسألة 294، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري 110 مسألة 367.

أما التي **بلفظ الاسم**، وهي من عطف الجمل، فقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ [الفتح:11] .

وأما التي من عطف المفردات **فأولها** قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة:76] . **وثانيها** قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس:49]. **وثالثها** قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه:89] . **ورابعها** قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:3] .

وأما التي بلفظ الفعل التي هي من عطف الجمل، **فأولها** قوله تعالى: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:102] . **وثانيها** قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:18] .

وثالثها: قوله تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [الحج:12].

حيث قدم الضر أو النفع فلسبب اقتضى ذلك[1]. ففي الأعراف [188] تقدم النفع؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:178] ، فقدم الهداية على الضلال، وكذلك قال بعده في الآية نفسها : ﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾ ، فقدم الخير على السوء. لكل هذا قُدم النفع على الضر[2]. **وقيل**: قدم النفع؛ لأنها تقدمها ذكر الساعة، فناسب تقديم النفع الذي هو ثواب الآخرة، وتأخير الضر الذي هو عقابها[3].

وفي الرعد قدم الطوع على الكره في الآية قبلها ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ ولهذا ناسب تقديم النفع على الضر[4]. **وقيل**: قدم النفع؛ لقوله: ﴿ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ ،

[1] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 188 مسألة 167.

[2] – البرهان للكرماني 69 مسألة 160.

[3] – درة التنزيل للإسكافي 181، وكشف المعاني لابن جماعة 188 مسألة 167.

[4] – البرهان للكرماني 69 مسألة 160.

والولي دأبه نفع وليه مطلقاً أصابه ضر أو لم يصبه، وسواء قدر على دفع الضر أو لا، فناسب تقـــديم النفع[1]. **وقيل**: تقديمه من باب تقديم الأفضل على الأنقص؛ لأن اجتلاب النفع أشرف من دفع الضر، وهو رتبة فوقه، فمن فاته كمال ذلك طلب دفع الضر، فهو وجهه في الترتيب[2].

وفي سبأ [42] قدم بسط الرزق على تقديره في موضعين[3]، **الأول**: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [سـبأ:36] ، **والثاني**: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ [سبأ:39]، فكان تقديم النفع أنسب.

وفي الأنعام [71] تقـــدمها قولـــه تعـــالى[4]: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ [70]، ثم وصلها بقولـــه ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ . أي: إن تقدم الولي على الشفيع سوغ تقدم النفع على الضر؛ لأن الولي شأنه نفع من يتولاه مطلقاً، وأما الشفيع فإنما يؤتى به لدفع الضر. وقيل: لأن السياق في تعداد النعم، حيث امـــتن علينا بخلق السموات والأرض، وخلقنا من طين وكونه يُطعِم ولا يُطعَم، ويرسل علينا حفظة، وينجينا من ظلمات البر والبحر وغيرها[5].

وأما في يونس [106]، فقدم النفع لتقدم نجاة الرسل والمـــؤمنين[6] في الآيـــة [103] : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

وفي الأنبياء تقدم قول الكفار لإبراهيم عليـــه الســـلام[7] في الآيـــة [65] ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ . وقيل: لما كانوا في محل ضرورة بسبب تكسير الأصنام راجين من يـــنفعهم، قـــدم النفع[8]. وهذا المعنى أظهر.

وفي الفرقان [55] تقدمه قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [45]، وعد نعماً جمـــة[9]. وقيل قُدم النفع؛ لأن فيما تقدمها قُدم الأفضل على الأدون، كقولـــه تعـــالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقـــــــان:53] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا

---

[1] – انظر كشف المعاني 218 مسألة 215.

[2] – انظر درة التنزيل للإسكافي 327.

[3] – انظر البرهان للكرمان 69 مسألة 16.

[4] – انظر البرهان للكرماني: الصفحة نفسها.

[5] – انظر نظم الدرر 150/7.

[6] – انظر البرهان للكرماني: الصفحة نفسها.

[7] – انظر البرهان للكرماني: الصفحة نفسها.

[8] – انظر نظم الدرر للبقاعي 442/12.

[9] – انظر البرهان للكرماني 69 مسألة 160 ، وانظر كشف المعاني لابن جماعة 202 مسألة 188.

﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ ﴾ [الفرقان:54] ، فقدم العذب الفرات على الملح الأجاج، وقدم صلة النسب على صلة المصاهرة، وهي أفضل منها، فناسب تقديم النفع: لأنه الأفضل[1].

وأما في الشعراء [73] ؛ فقدم (ينفعونكم)؛ لأن محط حال العابد والداعي جلب النفع في أول قصده[2].

وأما تقدم الضر على النفع في سورة الفتح [11] ، فلأن هؤلاء الأعراب لما تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بشغل أموالهم وأهليهم ووطلبوا استغفار النبي صلى الله عليه وسلم، ظنوا أنهم بقولهم هذا يدفعون عن أنفسهم المكروه، فأمر الله نبيه أن يعظهم بقوله: (فمن يملك لكم من الله ضراً)، أي: نوعاً من الضرر يهلك به أموالكم وأهليكم، فقد الضر لذلك[3]. والله أعلم.

وأما في المائدة فقدم الضر؛ لأن فيها لفظ (أتعبدون)، والعابد إنما يدعو ربه خوفاً من عقابه أولاً، ثم طمعاً في ثوابه ثانياً[4]. وكذلك فقد تقدم الوعيد للذين قالوا (إن الله ثالث ثلاثة) على التوبة والاستغفار، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ ﴾ .. والله أعلم.

وأما في يونس [49] فقدم الضر: لأنها فيما كان يستعجله الكفار من عذاب الله، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ، وقبلها قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ [يونس:46] ، أي: أريناك بعض ما تتوعد به الكفار من العذاب في عاجل الدنيا حتى تراه نازلاً بهم في حياتك، أو أخرنا ذلك عنهم إلى بعد وفاتك ووفاتهم؛ فإن ذلك لا يفوتهم؛ لأن مرجعهم إليَّ، حيث يجازى العباد، ويقول الكفار: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ قل لا أملك لنفسي ما وعدكم الله من العذاب، ولا أن أدفع عنكم سوء العقاب، كما لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً، فتقديم الضر على النفع بخروجها على ذكر العذاب، الذي قال فيه بعده[5]: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

وأما تقديم الضر على النفع في طه [89] ، فلعله لتقدم تهديد موسى – عليه السلام – لهم بغضب الله ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [86]، فبين الحق، سبحانه وتعالى ضعف عقولهم بأن هذا العجل لا يرجع لهم قولاً ولا يملك لهم ضراً بأن يدفع عنهم غضب الله إن حل بهم ولا يملك لهم نفعاً. والله أعلم.

---

[1] – انظر درة التتريل للإسكافي 209 وما بعدها و328.

[2] – انظر نظم الدرر للبقاعي 49/14.

[3] – انظر نظم الدرر 301/18.

[4] – انظر البرهان للكرماني 69 مسألة 160.

[5] – انظر درة التتريل للإسكافي 181. وانظر كشف المعاني لابن جماعة 188 مسألة 167 .

وأما تقديم الضر على النفع في الفرقان [3] ، فلتقدم النفي على الإثبات[1] في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ . فقوله (لا يخلقون) نفي، وقوله (وهم يُخلقون) إثبات، فقدم الضر على النفع؛ لأن الضر نفي والنفع إثبات، أي: إثبات المصالح وإيجادهـــا، والضر نفيها، فالنفع مطلوب مطلقاً، فهو من باب الإثبات والضر يطلب نفيه عند حصوله، فهو مـــن باب النفي[2]. **وقيل**: قدم الضر لمناسبة ما بعده من تقديم الموت على الحياة[3].

وأما في البقرة فقدم (ما يضرهم) على (ولا ينفعهم)؛ لأن هؤلاء تعلموا من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه، فبيَّن المولى سبحانه وتعالى أنهم يتعلمون ما يضرهم، وهو هذا التفريق بين الأحبـــاب، وهو لا ينفعهم بشيء، إنما هو ضرر محض. والله أعلم.

وأما في يونس [18] فقدم الضر في قوله تعـــالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ ؛ لأن العبادة تقام خوفاً من العقاب أولاً ثم رجاء الثواب ثانياً، وأيضاً تقدم فيهـــا مـــا أوجب ذلك، وهو قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ ﴾ ، فكأنه قال: ويعبدون من دون الله ما لا يخافون ضراً في معصيته، ولا يرجون نفعاً في عبادته[4].

وفي الحج قدم (ما لا يضره) على (ما لا ينفعه)؛ لتقدم قوله تعـــالى: ﴿ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ [الحـج:11] ، فهذا الذي أصابته الفتنة، لجهله أخذ يدعو من دون الله ما ليس له قـــدرة على إصابته بمثل هذه الفتنة؛ لاعتقاده أنه هو الذي أصابه بها، فهو يدعوه ليشكفها عنه، فبين الحـــق سبحانه، أن هذا المدعو ليس قادراً على أن يصيبه بضر ولا على أن يدفعه عنه. والله أعلم.

المسألة الثانية: تقديم الأرض على السماء وتأخيرها

ورد لفظ السماء مفرداً ومجموعاً ، و لم يأتِ لفظ الأرض إلا مفرداً. ووردا معطوفين عطفَ مفردٍ على مثله، كما وردا معطوفين عطفَ جملةٍ على مثلها. مثال **عطف المفردات** قوله تعـــالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الرعد 16]، وقوله تعـــالى: ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [النمـل:75] ومثال **عطف الجمل** قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:132] .

تقدمت السماء، سواء كانت مفردةً أو مجموعة، على الأرض، في مواضع كثيرة يصعب ذكرها جميعاً في هذا البحث[5]، وسأكتفي بذكر ما تقدمت فيه الأرض.

[1] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 274 مسألة 307.

[2] – انظر درة التأويل للخطيب الإسكافي 327. وكشف المعاني لابن جماعة 274 مسألة 307.

[3] – انظر فتح الرحمن لزكريا الأنصاري.

[4] – انظر درة التأويل للإسكافي 209 ، وانظر كشف المعاني 202 مسألة 188 .

[5] – انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي (سمو) [ص 460 – 465] و(أرض) [ص 34 – 42].

أولاً: تقدمت الأرض على السماوات في ثلاثة مواضع، **الأول**: قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ [طه 4]. **والثاني**: قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:48]. **والثالث**: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:67].

ثانياً: تقدمت الأرض على السماء في أربعة مواضع، **الأول**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:5]. **والثاني**: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:61]. **والثالث**:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم:38]. **والرابع**: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [العنكبوت:22].

تقديم السماء أو السماوات على الأرض في غالب الآيات إنما هو لرتبتها وفضلها وشرفها[1]. وكذلك فإن غالب الآيات التي ذكرت فيها السماوات والأرض كانت في سياق آيات الرب الدالة على وحدانيته وربوبيته، ومعلوم أن الآيات في السماوات أعظم منها في الأرض؛ لسعتها وعظمها وما فيها من كواكبها وشمسها وقمرها وبروجها وعلوها واستغنائها عن عمد وغير ذلك من عجائبها، التي الأرضُ وما فيها كقطرة في سعتها[2]. وإنما قدم الأرض في المواضع المذكورة؛ لأن المخاطبين كائنون فيها[3]. ويظهر ذلك بتدبر كل آية منها، ففي آل عمران قدم الأرض إظهاراً للاعتناء بشأن أحوال أهلها، واهتماما بما يشير إلى وعيد ذوي الضلالة منهم، وليكون ذكر السماء بعدُ من باب العروج، قيل: ولذا وسط حرف النفي بينهما[4].

وفي يونس: جاءت عقب قوله ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ ﴾ ، فالقصد ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض[5]. ويدل عليه قوله ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ ، وعملهم إنما هو في الأرض[6].

---

[1] – انظر بديع الفوائد لابن قيم الجوزية 63/1.

[2] – انظر بديع الفوائد 74/1.

[3] – انظر انظر البرهان للكرماني 80 مسألة 196، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري 46 مسألة 134.

[4] – انظر روح المعاني للألوسي 78/3.

[5] – انظر درة التتزيل 386.

[6] – انظر مقدمة تفسير ابن النقيب 170 ، وبديع الفوائد لابن قيم الجوزية 74/1.

وفي طه [4]: فلموافقة رءوس الآي، ولأنه الواقع؛ لأن خلق الأرض قبل السماء، وأيضاً لما ذكر أن إنزال القرآن تذكرة لمن يخشى، وهم سكان الأرض ناسب ذكر البداءة بالأرض التي نزل القرآن تذكرة لأهلها[1].

وفي إبراهيم [38] وفي الزمر [67]، فلأنها في سياق الوعد والوعيد ، وهو لأهل الأرض[2]. ومثلهما في العنكبوت [22]، فإنها في سياق التعجيز والتهديد، وأول هربهم إنما يكون في الأرض؛ لأنهم فيها. وقيل: لأن السماء أبعد وأفسح من الأرض[3].أي: إنه قدم الأقرب على الأبعد والفسيح على الأفسح.

المبحث الثاني: تقديم الأخبار بعضها على بعض

مسألة: تقديم (لا إله إلا هو) على (خالقُ كل شيء) وتأخيرها

تقدم خبر المبتدأ الثالث: (لا إله إلا هو)، على خبر المبتدأ الرابع: (خالق كل شيء)، في سورة الأنعام [102]، في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾. وتأخر عنه في غافر [62]، في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ .

في الأنعام تقدمه اتخاذهم الشركاء من الجن ونسبتهم البنين والبنات لله جل وعلا، فدفع قوله قائله بتتريهه سبحانه عن ذلك، فقال: لا إله إلا هو. وفي غافر تقدمه ذكر الخلق، في قوله تعالى: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر:57] ، فقدم في كل سورة ما اقتضاه سياقها من الآيات السابقة لها[4].

المبحث الثالث: تقديم الصفات بعضها على بعض وتأخيرها

المسألة الأولى: تقديم الحلم على المغفرة وتأخيره:

تقدمت صفة الحلم على صفة المغفرة في موضعين، وكانتا منصوبتين. **الأول:** قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء:44] . **الثاني:** قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر:41].

---

[1] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 250 مسألة 267 . س

[2] – البرهان للزركشي 257/3.

[3] – انظر غرائب القرآن للنيسابوري 88/20.

[4] – انظر درة التأويل للإسكافي 127، والبرهان للكرماني 53 مسألة 110، وروح المعاني للألوسي 244/7.

وتقدمت صفة المغفرة على الحلم في أربعة مواضع، وكلها مرفوعة. **الأول:** ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:225].

الثاني: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾: [البقرة:235]. **الثالث:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:155]. **الرابع:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة:101].

الآيتان اللتان تقدمت فيهما صفة الحلم مكيتان، وليستا خاصتين بالمؤمنين، بل هما عامتان لجميع الخلق، فالأولى جاءت في سياق الرد على المشركين في فِريتهم بأن الله اتخذ من الملائكة إناثاً، فبين الحق سبحانه أن الكل يسبح بحمده، ثم ختمها بتقديم الحلم على المغفرة؛ لأنه لم يعاجلهم بالعقوبة على هذه الفِرية، وأما الثانية فتتحدث عن عنايته تعالى بالخلق في إمساك السماء أن تقع على الأرض. رغم إشراكهم به من لا يملك شيئاً في السماوات والأرض، كما تدل عليه الآية قبلها، ولهذا فهو لم يعاجلهم بالعقوبة كذلك، فكان تقديم الحلم أنسب.

والآيات الأربع الأخرى كلها خطاب للمؤمنين، فالآيتان في البقرة فيهما تحذير لهم بأن الله يعلم ما في قلوبهم وما تكنه صدورهم، ولكنه يستر ذلك عنهم، فقدم المغفرة؛ لأنها هي ستر الذنوب[1]. وفي آل عمران جاءت في الذين تولوا يوم الجمع، وقد بين الله أنه عفا الله عنهم، ولذا فهو يستر ذنوبهم ، فقدم المغفرة، وقريب منها ما في المائدة؛ لأنها في النهي عن السؤال عن أشياء إن تُبدَ لهم تسؤهم، ولكن الله عفا عنها، فقدم المغفرة لذلك. والله أعلم.

المسألة الثانية: تقديم (حكيم) على (عليم) وتأخيرها

جاء لفظا (حكيم) و(عليم)، منكرين مرفوعين أو مخفوضين تارة، ومنصوبين أخرى، كما جاءا معرفين بالألف واللام. فهذه ثلاثة أنواع. أما ما جاء منكراً ومرفوعاً أو مجروراً، فتقدم فيه لفظ (عليمٌ) في أكثر المواضع، وتقدم (حكيمٌ) في خمسة منها. **أولها:** ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:83] . **وثانيها:** ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ

[1] – انظر إعجاز القرآن للدكتور فضل حسن وابنته سناء 220.

بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:128] . **وثالثها**: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:139]. **ورابعها**: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجر:25]. **وخامسها**: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل:6] .

وتقدم (عليم) في خمسة عشر موضعاً، أحيل إلى سورها وأرقام آياتها خوف التطويل: [النساء:26] [الأنفال:71] [التوبة:15 و28 و60 و97 و106 و110] [يوسف:6] [الحج:52] [النور:18 و58 و59] [الحجرات:8] [الممتحنة:10] .

أما جاء منهما منصوباً منكراً، فتقدم فيه (عليماً) على (حكيماً) في كل مواضعه العشرة، فيما يلي سورها وأرقام آياتها: [النساء:11 و17 و24 و 92 و104 و111 و170] [الأحزاب:1] [الفتح:4] [الإنسان:30] .

وأما ما جاء منهما معرفاً بالألف واللام، فتقدم (الحكيم) على (العليم) في موضعين، **الأول**: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:84] . **والثاني**: ﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذّاريات:30].

وتقدم لفظ العليم في أربعة مواضع: [البقرة:32] [يوسف:83 و100] [التحريم:2] .

الحكمة لا تكون إلا عن علم، ولهذا قُدم العليم على الحكيم في أكثر الآيات. وأما تقديم الحكيم في بعضها فلأمر اقتضى ذلك. ففي الأنعام [139] قُدم الحكيم؛ لأنه في مقام تشريع الأحكام[1].

وفي سورة الحجر تقديم وصف الحكمة للإيذان باقتضائها للحشر والجزاء[2]. ومثله ما في الأنعام [83]؛ فإن أولها في الحشر كذلك، أي: إنها في الاستدلال على البعث الذي هو محط الحكمة؛ فكان تقديمها هو الأنسب. وقيل: محاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوي الذي نسبوا الخلق والتدبير بالنور والظلمة إليه، وكان في ختام محاجته لهم أن الجاري على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده، فلا خوف عليهم، لذا قدم صفة الحكمة[3].

وفي سورة النمل قدم (حكيم)؛ لأنه سبقها في الآية قبلها حكمه على الذين لا يؤمنون بالآخرة بسوء العذاب.

وفي الذاريات، قدم الحكيم على العليم؛ لأنه جاء في سياق الرد على امرأة إبراهيم عليه السلام، حين بُشرت بالولد، فتعجبت من أمرها، كيف يولد لها وهي عجوز عقيم ؟! فأخبرتها الملائكة أن ذلك

---

[1] – انظر البرهان للزركشي 262/3.

[2] – انظر روح المعاني للألوسي 158/19.

[3] – انظر نظم الدرر للبقاعي 169/7.

بأمر الله ، وهو الحكيم، الذي يضع كل شيء في موضعه، فهو قادر على أن يجعل الولد من العجـــوز العقيم بمقتضى حكمته، سبحانه.

وأما في سورة الزخرف فقدم الحكيم؛ لأنه سبقها حكمه على المجرمين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف:74] ، وهو حكم صادر عن حكمة. وكذلك فإن الإله لا يصلح للإلهية إلا إذا كان يضع الأشياء في محالها، بحيث لا يتطرق إليها فساد، ولا يضرها إفساد، فقدم صفة الحكمة لذلك[1].

المسألة الثالثة: تقديم (مبارك) على (أنزلناه) وتأخيره

تقدم (مبارك) علـــى (أنزلنـــاه) في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء:50] ، وتأخر عنه في موضعين، **الأول**: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعـــام:92]، **والثـــــــــاني**: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام:155] .

ذكروا من أسباب التقديم مراعاة الإفراد. ولهذا قُدم (مبارك) في الأنبياء؛ لأنه وصف مفـــرد، علـــى (أنزلناه) ؛ لأنه وصف جملة[2]. وعليه: ما جاء في الأنبياء كان على الأصل، بتقديم العطف المفـــرد في النكرة على الجملة. وأما في الأنعام في الموضعين، فقدم (أنزلناه)؛ لأن الكلام مع منكري الإنزال[3].

يشهد لهذا أن الآية [92] ، جاء في الآية قبلها: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ ، وأمـــا الآية [155] ، فجاء الآيتان بعدها في معنى الإنزال، وهمـــا قولـــه تعـــالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ وقولـــــه تعـــــالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ . فالكلام كله متعلق بالإنزال فقدم الوصف بالإنزال. والله أعلم.

المسألة الرابعة: تقديم (الرحيم) على (الغفور) وتأخيرها

تقدم (الرحيم) على (الغفور) في موضع واحـــد: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [سبأ:2].

[1] – انظر نظم الدرر للبقاعي 492/7.

[2] – انظر البرهان للزركشي 272/3.

[3] – كشف المعاني لابن جماعة 171 مسألة 139. وانظر روح المعاني للألوسي 60/8.

وأما (الغفور)، فوردت منكرة ومعرفة. فالمعرفة في سبعة مواضع. والمنكرة إما منصوبة وإما مرفوعة أو مجرورة، فالمنصوبة في خمسة عشر موضعاً، والمنكرة المرفوعة في سبعة وأربعين موضعاً، والمجـــرورة في موضع واحد. تقدم في جميعها لفظ (غفور)[1].

قيل: تقديم الغفور على الرحيم أولى بالطبع؛ لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة تُطلب قبل الغنيمة. وأما في سبأ، فقدم الرحيم؛ لأن الرحمة هناك متقدمة على المغفرة، إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع؛ لأنها منتظمة بذكر أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصـــهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص[2]. أي: إن تقديم الرحيم هنا راجع لدلالة السياق؛ لأن ما في الســـماء والأرض فيهم المكلف، وفيهم غيره، فالمغفرة خاصة بالمكلف، والرحمة عامة لهم جميعـــاً، فقُـــدم مـــا يعمهم، على ما يخص بعضهم.

وقيل: قدم الرحيم في هذا الموضع؛ لتقدم صفة العلم، فحسن ذكر الرحيم بعده؛ ليقترن به ، فيطـــابق قوله: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:7] ، ثم ختم الآية بصـــفة المغفـــرة؛ لتضمنها دفع الشر، وتضمن ما قبله جلب الخير. ولما كان دفع الشر مقدماً على جلب الخير قدم اسم الغفور على الرحيم حيث وقع. ولما كان في هذا الموضع تعارض يقتضي تقديم اسمه الرحيم؛ لأجل ما قبله قُدم على الغفور[3].

المبحث الرابع: تقديم الاسم المعرف باللام على المعرف بالإضافة في اسم (إنَّ) وتأخيره

مسألة: تقديم (الهدى) على (هدى الله) وتأخيره

تقدم (الهدى) على (هدى الله) في موضع واحـــد: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:73].

وتقدم (هدى الله) على (الهدى) في موضعين، **الأول**: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:120]. **والثاني**: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:71].

[1] – انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (غفور ص 636 و737).

[2] – انظر بديع الفوائد لابن قيم الجوزية 64/1.

[3] – انظر بديع الفوائد 80/1.

قيل: إن الهدى في آل عمران هو الدين، وقد تقدم في قوله: ﴿ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ ، وهـدى الله : الإسلام، فكأنه قال – بعد قولهم: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم – : قل إن الـدين عنـد الله هـو الإسلام، كما سبق في أول السورة. والذي في البقرة معناه القبلة؛ لأن الآية نزلت في تحويل القبلـة. وتقديره: قل إن قبلة الله هي الكعبة[1].

هذا ما وقفت عليه من توجيه هاتين الآيتين، و لم أجد من أشار إلى موضع الأنعام، وإن كان شبيهاً بما في البقرة، مع أنه لا علاقة له بالقبلة. والذي ينبغي أن يُفطن له أن لفظ (الهدي) المعـرف بـالألف واللام يعني: جميع أنواع الهدى، فأل: للجنس. ففي آل عمران قدم الهدى؛ رداً على حيلة اليهود التي تواطؤوا عليها، وهو أن يؤمنوا وجه النهار ويكفروا آخره ، حتى يشككوا المؤمنين، فإن همهم إضلال الآخرين مع حرصهم أن لا يؤمنوا إلا لمن تبع دينهم، فيأتي الإنكار على أشده في تقديم المعرف باللام، وهو الهدى، على المعرف بالإضافة. وليس في الآيتين الأخريين مثل ما في هذه السورة، فغاية مـا في البقرة أن اليهود لن ترضى عن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يفارق دينه ويتبع دينهم، فيبيِّن له الحق سبحانه أن دين الله هو الهدى. وفي سورة الأنعام ضرب مثلاً لمن يريد للمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم بأن يدعوا من دونه ما لا ينفعهم ولا يضرهم، فيبين لهم أن دين الله هو الهدى. فليس في السـورتين حيلة للصد عن دين الله كما في آل عمران، فقدم فيهما المعرف بالإضافة اسماً ل(إنَّ) ؛ لأنه أعـرف وأخص، فتقديمه هو الأصل، وقدم في آل عمران المعرف باللام إنكاراً لهم على صنيعهم. والله أعلم.

المبحث الخامس: تقديم الظرف على الحال وتأخيره

مسألة: تقديم (بينى وبينكم) على (شهيداً) وتأخيره

تقدم (بيني وبينكم) على (شهيداً) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت:52] . وتقدم (شهيداً) عليهما في ثلاثة مواضع ، **الأول**: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعـد:43] **والثـاني**: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسـراء:96] . **والثالث**: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [الأحقاف:8] .

تقديم (شهيداً) هو الأصل، وإنما أُخر في العنكبوت عن الظرف؛ لأنه وصفه بقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ ، فلما طال بهذا الوصف لم يجز الفصل به، فأُخر حـتى تتبـع الصـفة

[1] – البرهان للكرماني 36 مسألة 62؟ ، وكشف المعاني لابن جماعة 104 مسألة 41. وانظر فتح الرحمن لزكريا الأنصاري 26 مسألة 52.

موصوفها ولا يحول بينهما حائل[1]. وكذلك، لما كانت العناية في هذه السورة بذكر الناس وتفصيل أحوالهم، ابتدأ، بقوله: (بيني وبينكم)[2].

المبحث السادس: تقديم المفعول الثاني على نائب الفاعل وتأخيره

تقديم (هذا) على (نحن وآباؤنا) وتأخيره

تقدم (هذا) على (نحن وآباؤنا) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل:68] . وتقدم (نحن وآباؤنا) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:83] .

ما في المؤمنين جاء على القياس ؛ فإن الضمير المرفوع المتصل لا يجوز العطف عليه حتى يؤكد بالمنفصل، فأكد (وُعدنا نحن) ، ثم عطف عليه (آباؤنا) ،ثم ذكر المفعول وهو (هذا). وفي النمل قدم المفعول موافقة لقوله (ترابا) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل:67] ؛ لأن القياس فيه أيضاً: كنا نحن وآباؤنا تراباً، فقدم (تراباً) ليسد مسد (نحن) ، فكانا لفقين[3].

وقيل: التقديم دليل على أن المقدَّم هو الغرض المتعمَّد بالذكر وأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تُعمّد بالكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد[4].

وقيل: في المؤمنين ذكر المنصوب بعد المرفوع وما تبعه، وهو موضعه، وفي النمل قدم المنصوب؛ لكونه فيها أهم. يدلك على ذلك أن الذي قبل هذه الآية: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ ، والذي قبل الأخرى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ ، فالجهة المنظور فيها هناك هي كون أنفسهم تراباً وعظاماً، والجهة المنظور فيها هنا هي كون أنفسهم وكون آبائهم تراباً[5].

وقيل: لما تقدم في المؤمنين ذكر آبائهم، ناسب ذلك تقديم المؤكد، وهو (نحن)؛ ليعطف عليه الآباء المتقدم ذكرهم، ثم تأخير المفعول الموعود لهم جميعاً، وهو (هذا). وآية النمل لم يذكر فيها (الأولون)، فناسب تقديم المفعول الموعود، ثم ذكر المؤكد ليعطف عليه ما لم يذكر أولاً. **وحاصله**: تقديم من تقدم ذكره أهم وأنسب، وتقديم المفعول الموعود وتأخير من لم يذكر أهم وأنسب[6].

---

[1] – كشف المعاني لابن جماعة 235 مسألة 244، والبرهان للكرماني 107 مسألة 279.

[2] – انظر نظم الدرر للبقاعي 461/14.

[3] – البرهان للكرماني 126 مسألة 332.

[4] – الكشاف للزمخشري 158/3.

[5] – انظر مفتاح العلوم للسكاكي 238.

[6] – كشف المعاني لابن جماعة 268 مسألة 297.

المبحث السابع: تقديم الجار والمجرور وتأخيره

النوع الأول: تقديم الجار والمجرور على الجار والمجرور

المسألة الأولى: تقديم (به) على (لغير الله) وتأخيرها

تقدم (به) على (لغير الله) في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:173] . وتأخر عنه في بقية المواضع، وهي: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ .... ﴾ [المائدة:3] . وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:145]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:115].

قيل: قدم (به) في البقرة؛ لأن تقديم الباء هو الأصل، فإنها تجري مجرى الهمزة والتشديد في التعدي، فكانت كحرف من الفعل، فكان الموضع الأول أولى بما هو الأصل؛ ليُعلم ما يقتضيه اللفظ، ثم قُدم فيما سواها ما هو المستنكر، وهو الذبح لغير الله، وتقديم ما هو الغرض أولى، ولهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل، والحال على ذي الحال إذا كان ذلك أكثر للغرض في الأخبار[1].

وقيل: آية البقرة وردت في سياق المأكول وحله وحرمته، فكان تقديم ضميره، وتعلق الفعل به أهم. وآية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره، والأمر بتقواه، وكذلك آية النحل، وردت بعد الأمر بشكر نعمة الله، فكان تقديم اسمه أهم. وأيضاً فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة، فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائحهم أهم؛ لما يجب من توحيده، وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين؛ لبيان ما يحل وما يحرم، فقدم الأهم فيه[2].

المسألة الثانية: تقديم (بالقسط) وتأخير (لله) وعكسه

تقدم (قوامين بالقسط) على (شهداء لله) في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ

---

[1] - البرهان للكرماني 27 مسألة 33. وانظر درة التتريل للإسكافي 41.

[2] - كشف المعاني لابن جماعة 110 مسألة 50.

﴿ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:135] . وتقدم (قوامين لله) على (شهداء بالقسط) في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:8] .

قيل: آية النساء تقدمها نشوز الرجال وإعراضهم عن النساء والصلح على مال، وإصلاح حال الزوجين، وقوله: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء:129] ، وقوله: ﴿ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ﴾ [النساء:127] وشبه ذلك، فناسب تقديم القسط، وهو العدل. أي: كونوا قوامين بالعدل بين الأزواج وغيرهن، واشهدوا لله، لا لمراعاة نفس أو قرابة. وآية المائدة جاءت بعد أحكام تتعلق بالدِّين والوفاء بالعهود والمواثيق، كقوله: ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ وكقوله: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ ﴾ [المائدة:7] ، ولما تضمنته الآيات قبلها من أمر ونهي، فناسب تقديم (لله) ، أي: كونوا قوامين بما أمرتم أو نهيتم لله، وإذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لا للهوى[1].

وقيل: آية النساء جيء بها في معرض الإقرار على نفسه ووالديه وأقاربه، فبدأ فيها بالقسط، الذي هو العدل من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة، والتي في المائدة جيء بها في معرض ترك العداوة، فبدأ فيها بالقيام لله تعالى؛ لأنه أردع للمؤمنين، ثم ثنى بالشهادة بالعدل، فجيء في كل موضع بما يناسبه[2].

وقيل: الخطاب في آية المائدة للولاة، فقدم (قوامين لله)، أي: كونوا أيها الولاة قوامين في أحكامكم لله لا للنفع. وفي النساء قدم القسط اهتماماً بطلب القسط، أي: العدل[3].

المسألة الثالثة: تقديم (بأموالهم وأنفسهم) على (في سبيل الله) وتأخيره

تقدم (بأموالهم وأنفسهم) على (في سبيل الله) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:72] . وفي قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:81] .وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا

---

[1] - انظر كشف المعاني لابن جماعة 142 مسألة 96 .

[2] - انظر روح المعاني للألوسي 83/5.

[3] - انظر درة التتريل للإسكافي 84 ، والبرهان للكرماني 41 مسألة 77، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري 71 مسألة 229.

﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:15] .

وتقدم (في سبيل الله) على (بأموالهم وأنفسهم) في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:95].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة:20].

في سورة الأنفال: قدم الأموال والأنفس؛ لأنها جاءت عقب ما أنكره الله عليهم من أخذهم الفداء من كفار قريش طمعاً في الفداء، فعاتبهم الله بقوله: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [67] وقوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [68] ، ثم أباح لهم الغنائم بقوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾ [69]، فعقب ذلك بهذه الآية التي مدح فيها من أنفق أمواله في سبيل الله، لا من يجاهد طلباً للنفع العاجل، فقدم بأموالهم وأنفسهم؛ ليعلموا أن ذلك يجب أن يكون أهم لهم وأولى بتقديمه عندهم، صرفاً لما حرصوا عليه من الفداء[1].

وأما آية التوبة [81] ، فلأنها تقدمها ذكر من عاهد الله ليصدقنّ، ثم بخل بعد ما آتاه الله من فضله، وكذلك ذكر الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، فلما ذكر تخلف المنافقين وفرحهم بذلك بين أنهم كرهوا الجهاد بأموالهم وأنفسهم، فقدمهما؛ لأن السياق يقتضي ذلك. والله أعلم.

وفي سورة الحجرات جاءت بعد قول الأعراب، آمنا، فبين لهم الحق سبحانه أن يقولوا أسلمنا بدلاً من (آمنا)؛ لأن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، ثم حصر لهم صفات المؤمنين في ثلاث: الإيمان بالله وبرسوله والجهاد بالمال والنفس في سبيله، فقدم المال والنفس؛ لأنه الذي يمحص ما في صدورهم ويبين الصادق منهم من المنافق. والله أعلم.

وأما آية النساء فقدم (في سبيل الله) ؛ لأنها تقدمتها آيات كثيرة تحض على القتال، كقوله تعالى: ﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِۚ ﴾ ، وغيرها كثير كله متعلق بالجهاد وأحكامه من القتل الخطأ والعمد، إلى أن قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء:94] ، فدل ذلك كله على أن الحديث متجه إلى الجهاد في سبيل الله، فقدمه لذلك. والله أعلم.

[1] – انظر درة التتريل للإسكافي 189. والبرهان للكرماني 72 مسألة 164 ، وكشف المعاني لابن جماعة 192 مسألة 176.

وأما آية التوبة [20]، فتقدمها ذكر افتخارهم بعمارة المسجد الحرام على المجاهدين، فناسب تقديم الجهاد في سبيل الله[1]. ولأن قبلها: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة:16]، فكان المندوب إليه في هذه الآية بعد الإيمان بالله الجهاد في سبيل الله، فقدمه على ذكر (بأموالهم وأنفسهم)؛ لما قدم ذكر ما اقتضى الموضع تقديمه[2].

المسألة الرابعة: تقديم (على شيء) على (مما كسبوا) وتأخيرها

تقدم (على شيء) على (مما كسبوا) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:264] . وتقدم (مما كسبوا) في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:18].

في البقرة: المَثَل للعامل، فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب؛ لأن (على) من صلة القدرة. وآية إبراهيم المَثَلُ للعمل؛ لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ ، تقديره: مثل أعمال الذين كفروا ، فكان تقديم نفي ما كسبوا أنسب؛ لأنه صلة (شيء)، وهو الكسب، وهو المقصود بالذكر هنا[3].

المسألة الخامسة: تقديم (للناس) على (في هذا القرآن) وتأخيرها

تقدم (للناس) على (في هذا القرآن) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:89] . وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم:58]. وفي قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر:27] . وتقدم (في هذا القرآن) على (للناس) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:54] .

أما في الكهف فقدم (في هذا القرآن) ؛ لأن ذكره جل الغرض، وذلك أن اليهود سألته عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وكذلك ما فيه من خبر موسى وفتاه، مما لا يقدر عليه إلا بوحي،

---

[1] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 192 مسألة 176.

[2] – درة التنزيل للإسكافي 190.

[3] – انظر كشف المعاني 120 مسألة 64. وانظر البرهان للكرماني 93 مسألة 245.

فأوحى الله إليه كل ذلك في القرآن[1]. وقيل: لأنها وردت بعد ذكر إبليس وعداوته وذم اتخاذه وذريته أولياء، فناسب تقديم ذكر القرآن الدال على عداوته ولعنته[2]. وكذلك، فإن السورة كانت في سياق وصف الكتاب، فاقتضى الاهتمام به[3].

وأما آية الإسراء فإنها جاءت بعد أمثال ضُربت، نحو: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [الإسراء:72] . وبعد تخويف النبي صلى الله عليه وسلم كتخويف الناس: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء:75] ، فقدم (للناس) تنبيهاً للناس، على عادة العرب في تقديم ما عنايتهم بذكره أتم[4]. وقيل: لأنها وردت بعد أفعال وأقوال لقوم مخصوصين. يدل عليه: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾[73] ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾[76] ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ [88]، فناسب تقديم ذكر الناس وقيام الحجة عليهم بعجزهم عن الإتيان بمثله[5].

وفي الروم قدم (للناس)؛ لأن ما قبله حديث عن قوم مخصوصين، هم الكفار، ضرب الله لهم الأمثال، وما زالوا يعاندون، فهم يستبشرون بالريح الطيبة التي تأتي بالمطر وينتفعون بثمارها ولا يتفكرون في من خصهم بها، ولا يعتبرون بالريح التي يرونها مصفرة، تنذرهم بالعذاب، فهم كالموتى والصم لا يسمعون. فبين الحق سبحانه أن كل هذه الأمثال ضربت للناس في القرآن، فقدمهم؛ لأن الأمثال إنما ضربت لهم لينتفعوا بها. والله أعلم. وكذلك في آية الزمر قدم (للناس) ؛ لأن الحديث عن كفار قريش، في تكذيبهم بالقرآن، كما كذب الذين من قبلهم، الذين كانت عاقبتهم الخزي في الدنيا، وينتظرهم العذاب الأكبر يوم القيامة، فضرب الأمثال في القرآن، كان لفائدة هؤلاء المعاندين، فكان الاهتمام بهم أكبر، ولهذا قدم (للناس). والله أعلم.

المسألة السادسة: تقديم (بآياتنا) على (إلى فرعون وملئه) وتأخيرها

تقدم (بآياتنا) على (إلى فرعون وملئه) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:103] ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزخرف:46] ، وتأخر عنه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس:75].

[1] – انظر البرهان للكرماني 105 مسألة 273. ودرة التنزيل للإسكافي 273.

[2] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 232 مسألة 239.

[3] – انظر نظم الدرر للبقاعي 88/12.

[4] – انظر درة التنزيل للإسكافي 273.

[5] – انظر كشف المعاني 232 مسألة 239.

في سورة الأعراف قدم (بآياتنا) ؛ لأن الاعتناء كان بها أكبر، يدل عليه ما قبلها وما بعدها. فقبلها الإشارة إلى القرى السابقة، جاءتهم رسلهم بالبينات، في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الأعراف:101] ، وبعدها قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:105] ، وبعدها إنكار فرعون أن يأتي بآية، ثم كانت الآيات من موسى عليه السلام، بتحول عصاه إلى ثعبان، ونزع يده بيضاء للناظرين، فالكلام كله عن هذه الآيات، ولذا قدمها.

وفي الزخرف قدم (بآياتنا) كذلك؛ للاعتناء بالآيات أيضاً. يدل عليه ما قبله وما بعده. فقبله: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [43] وكذلك قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ [44]. فهو عن القرآن، وهو من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم. وبعده الحديث عن قوم موسى، وكيف أنهم لما جاءهم بالبينات كانوا منها يضحكون، إلى أن قال : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ ﴾ [الزخرف:48]، فسياق الحديث كله عن الآيات، فلا جرم قدمها للاهتمام بها.

وأما في يونس، فكان الاهتمام ببعثة الرسل. يدل عليه أنه سبحانه وتعالى أمر نبيه عليه السلام أن يتلو عليهم نبأ نوح عليه السلام، وكيف كان تذكيره لقومه وكيف كان عاقبة تكذيبهم، ثم بين له أنه بعث من بعده رسلاً إلى قومهم، ثم من بعدهم بعث موسى وهارون إلى فرعون وملئه، فالحديث كله عن إرسال الرسل إلى أقوامهم، فقدم قوله (إلى موسى وهارون) لذلك. ودليل آخر على العناية ببعثة الرسل أنه أضاف هارون إلى موسى، عليهما السلام، في هذه السورة دون غيرها. والله أعلم.

المسألة السابعة: تقديم (علينا) على (به) وتأخيرها.

تقدم (علينا) على (به) في قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء:69] .

وتقدم (به) على (علينا) في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء:86] .

في الآية الأولى: التبيع: هو المطالب[1]. والضمير في (به): راجع إلى الإغراق أو إرسال الحاصب أو لهما، باعتبار ما وقع ونحوه[2].

---

[1] - انظر الكشاف للزمخشري 458/2.

[2] - انظر روح المعاني للألوسي 117/15.

سياق الآيات قبلها كله في بيان قدرة الله تعالى، وكيف أنه قادر على أن يخسف جانب البر، أو يرسل عليهم حاصباً من السماء فلا يجدون من يتوكل بحمايتهم وحفظهم، وهو قادر على أن يعيدهم في البحر تارةً أخرى فيرسل عليهم قاصفاً من الريح فيغرقهم، وحينها لن يجدوا تبيعاً ، أي: مطالباً، يطالب المولى سبحانه بما فعل بهم ولا ثائراً يثأر لفعلهم بهم. فقدم (علينا) على (به)؛ لأنه في مقام التحدي.

وفي الآية الأخرى: الضمير في (به) يرجع إلى القرآن. ومعنى وكيلاً: متعهداً وملتزماً استرداده بعد الذهاب، كما يلتزم بذلك الوكيل فيما يتوكل عليه[1]. وهنا قدم (به) ؛ لأن السياق قبله وبعده في القرآن، فقبله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:82]. وبعده: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:88]. وكذا قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الإسراء:89]. فقدم ما كانت العناية به أشد. والله أعلم.

النوع الثاني: تقديم الجار والمجرور على الفاعل

المسألة الأولى: تقديم (به) على (قلوبكم) وتأخيرها

تقدم (به) على (قلوبكم) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:10] .

وتقدم (قلوبكم) على (به) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران:126].

أما تأخير (به) في آل عمران، فلأنه أخر الجار والمجرور في (بشرى لكم)، ليكون عطف الكلام الثاني كالأول في تقديم ما الكلام أحوج إليه، وتأخير ما قد يستغني عنه. وأما تقديم (به) في الأنفال؛ فلأن الأصل في كل خبر يُصدَّر بفعل أن يكون الفاعل بعده، ثم المفعول والجار والمجرور، وقد يقدم المفعول وكذا الجار والمجرور إذا كانت تقديمه أهم. وفي هذه الآية لم يعرض ما يوجب إجراء الكلام على الأصل ، كما كان في آل عمران، فيكون المعتمد بتحقيقه عند المخاطبين هو الإمداد بالملائكة، فقدم به الكلام لذلك[2]. ويبدو لي أن تقديم ضمير (به) الذي يشير إلى الإمداد بالملائكة جاء في سورة الأنفال؛ لأنها نزلت في بدر، وقد كان عددهم قليلاً، فجاءت الإشارة للعدد تثبيتاً لقلوبهم، فكان تقديمها أهم، بخلاف آية آل عمران، فإنها في أُحُد، فقدم القلوب على الأصل، وهم لم يكونوا بمثل قلتهم في بدر، فاحتياجهم للمدد لم يكن كاحتياجهم له في بدر. والله أعلم.

---

[1] – انظر روح المعاني للألوسي 164/15.

[2] – انظر درة التأويل للإسكافي 71 و72.

المسألة الثانية: تقديم (من أقصا المدينة) على (رجل) وتأخيرها

تقدم (من أقصا المدينة) على (رجلٌ) في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:20] .

وتأخر عنه في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص:20] .

في تقديم (من أقصى المدينة) في يس تبكيتٌ للقوم الذي كذبوا الرسل، حيث جاء من لم يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة، وهو في مكان بعيد عن مجتمع القوم، فنصحهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه، ولا شاهد من كلام الأنبياء ما شاهدوه، فحثهم على اتباع الرسل وقبول ما يأتون به. فكان في هذا غاية التبكيت بهؤلاء المكذبين للرسل.

وأما في القصص، فإنه أخبر عن رجل لا يعرفه موسى عليه السلام، من مكان ليس مجاوراً لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدم ما أصله التقديم، وهو الفاعل؛ إذ لم يكن فيه تبكيت للقوم بكونه من أقصى المدينة[1].

وقيل: إن الرجل في يس قصد نصرة الرسل ونصح قومه، فكان أشد وأسرع داعية، فلذلك قدم قاصداً من أقصى المدينة؛ لأنه ظاهر صريح في قصده ذلك. وكذلك فإن الرجل جاء ناصحاً لقومه في مخالفة دينهم، فمجيئه من أقصى المدينة أنسب لدفع التهمة والتواطؤ عنه،فقدم البعد لذلك. وفي القصص لم يكن نصحه لترك أمر يشق عليه، كالدين، بل لمجرد نصحه، فجاء على الأصل في تقديم الفاعل[2].

النوع الثالث: تقديم الجار والمجرور على المفعول به

المسألة الأولى: تقديم (من قبلك) على (رسلاً) وتأخيرها

تقدم (من قبلك) على (رسلاً) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:47].

وتقدم (رسلاً) عليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد:38].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر:78] .

---

[1] – انظر درة التأويل للإسكافي 390.

[2] – انظر كشف المعاني 284 مسألة 324 ، وص 304 مسألة 354،

قدم (رسلاً) في الموضعين؛ لسبق ما يقتضي تقديمه، وهو دلالة السياق؛ لأن السياق فيهما للرسل[1].

ففي سورة الرعد قبلها قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الرعد:32] . وبعده في آخر السورة: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ﴾ [الرعد:43]، فهو حديث كله عن الرسل والرسالة، فقدم (رسلاً) لذلك. وقدم(رسلاً) في غافر؛ لأنّ قبلها: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ﴾ [غافر:70] ، وبعدها: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ، فكان السياق في الرسل كذلك فقدمهم.

وأما في الروم فقدم (من قبلك) ؛ لأنه تقدمها (مِن قبـلُ) في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [الروم:42] . وبعده كذلك قوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم:49] ، فقدم (من قبلك) ؛ ليتسق مع ما قبله وما بعده. والله أعلم. وقيل: في تقديم الجار تنبيه على أنه خاتم الرسل؛ بتخصيص إرسال غيره بما قبل زمانه[2].

المسألة الثانية: تقديم (منا) على (رحمة) وتأخيره

تقدم (منا) على (رحمة) في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود:9]. وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:48].

وتقدم (رحمةً) عليه في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت:50] .

في سورة هود قدم (منا)؛ إشعاراً بأن الرحمة إنما هي من عند الله، وقد تقدمها ما يدل على ذلك في قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:6]. وكذلك ناسب تقديمها كفران هذا العبد بها، وقد بين الله ذلك في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾. وكذلك في سورة الشورى بين فيها أن الإنسان كفور، فناسب ذلك كله تقديم (منا) ؛ ليبين الحق سبحانه أن النعمة

[1] – انظر البرهان للزركشي 263/3.

[2] – انظر نظم الدرر للبقاعي 117/15.

التي كفروا بها إنما هي من عنده وحده. وقيل: لما كان من أقبح الخلال استملاك المستعار، وكانت النعم عواري من الله، يمنحها من شاء، قدم الصلة دليلاً على العارية[1].

وأما في فصلت فتقديم (رحمةً) جاء على الأصل، وذلك بتأخير الجار والمجرور عما تعلق به. يؤيد ذلك: أنها جاءت بعد دعاء الإنسان بالخير وقنوطه إن أصابه الشر: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [49] ، فأخبر في آخر الآية السابقة عن حاله عند الشر ووصفه بأنه يؤوس قنوط، فقدم هنا ضده على صلته؛ اهتماماً به[2].

المسألة الثالثة: تقديم (فيه) على (مواخر) وتأخيرها

تقدم (فيه) على (مواخر) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر:12] .

وتقدم (مواخر) عليه في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:14].

آية النحل سيقت لتعداد النعم على الخلق، بدليل تقديم (وهو الذي سخر البحر) ، وآية فاطر سيقت لبيان القدرة والحكمة، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [فاطر:11]، فتكرر (منه) في النحل؛ لتحقيق المنة والنعمة، ولذلك عطف (ولتبتغوا) بالواو العاطفة؛ لمناسبة تعدد النعم. وقدم (مواخر) على (فيه) ؛ لأنه امتن عليهم بتسخير البحر، فناسب تقديم (مواخر)، أي: شاقة الماء. وأيضاً قدمه ؛ ليليَ المفعول الثاني المفعول الأول ل(ترى)، فإنه أولى من تقديم الظرف. وأما آية فاطر فحذف (منه) ؛ لدلالة (من كل) عليها، وقدم (فيه) على (مواخر) ؛ لأن شق الفلك الماء لجريانه فيه آية من آيات الله، فالتقديم أنسب[3].

وقيل: في النحل جاء على القياس؛ فإن (الفلك) المفعول الأول ل(ترى) ، و(مواخر) المفعول الثاني، وفيها ظرف، وحقه التأخير. وأما في فاطر، فقدم (فيه) موافقة لما قبله وهو (ومِن كلٍّ)، فوافق تقديم الجار والمجرور على (مواخر)[4].

[1] – انظر نظم الدرر للبقاعي 242/9.

[2] – انظر نظم الدرر 218/17.

[3] – انظر كشف المعاني لابن جماعة 226 مسألة 229. وانظر روح المعاني للألوسي 180/22.

[4] – انظر البرهان للكرماني 97 مسألة 257. وانظر درة التأويل للإسكافي 259.

النوع الرابع: تقديم الجار والمجرور على الصفة

مسألة: تقديم (من قومه) على (الذين كفروا) وتأخيرها

تقدم (من قومه) على (الذين كفروا) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون:33] .

وتقدم (الذين كفروا) عليه في أربعة مواضع، **الأول**: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:66]. **والثاني**: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:90].

والثالث: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ [هود:27].

والرابع: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:24] .

قدم (من قومه) في المؤمنين [33]، دون غيرها؛ لأن صلة (الذين) طالت بالعطف عليها مرةً بعد مرة. أي: عُطف عليها أولاً: (كذبوا بلقاء الآخرة)، ثم عُطف عليها ثانياً: (وأترفناهم في الحياة الدنيا)، فقدم الجار والمجرور؛ لأن تأخيره ملبس، وتوسطه ركيك، فخص بالتقديم؛ لئلا يفصل بين الصفة وما عطف عليها. وأما في غيرها، فإن صلة (الذين) اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل، ثم ذكر بعده المفعول وهو المقول[1] .

النوع الخامس: تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل

مسألة: تقديم (عليه) على (الذكر) وتأخيرها

تقدم (عليه) على (الذكر) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:6]. وقوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص:8]. وتأخر عنه في قوله تعالى: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر:25].

[1] – انظر درة التنزيل 314. و البرهان للكرماني 125 مسألة 328. وكشف المعاني لابن جماعة 266 مسألة 294. وانظر فتح الرحمن لزكريا الأنصاري 210 مسألة 690.

قيل: قدم الجار والمجرور في ص موافقةً لما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم على المنكرين، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:44] . وعكس في القمر جرياً على الأصل من تقديم المفعول بلا واسطة على المفعول بواسطة[1].

والذي أراه أنه قُدم (عليه) في الحجر وص؛ لاهتمام كفار قريش بالمُنزل عليه، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، دون المُنزل، وهو القرآن؛ وذلك لشدة حسدهم له بأن يُخص بالذكر من بين أشرافهم ورؤسائهم. يدل على ذلك نداؤهم له في الحجر ب(يا أيها)، فهم يقصدون النبي عليه السلام. وأما في ص فيدل عليه قولهم ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[ص:4]، فهم يعجبون أن يأتيهم منذر منهم، ويصفونه بالسحر والكذب، ولذا فهم ينكرون اختصاصه بالقرآن من بينهم. وأما في القمر فقدم الذكر على الأصل، ولأنه تكرر في السورة قوله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:17 و22 و32 و40] ، أربع مرات: مرتين قبله ومرتين بعده، فكان الحديث منصباً على الذكر وهو القرآن. فلما ذكر قوم صالح قدم الذكر اعتناءً به، وتحذيراً لكفار مكة أن إنكارهم للقرآن سيكون سبباً في عذابهم، كما كان إنكار ثمود للذكر المنزل على صالح عليه السلام سبباً في هلاكهم. والله أعلم.

النوع السادس: تقديم الجار والمجرور على الحال:

مسألة: تقديم (على هؤلاء) على (شهيداً) وتأخيره عنه

تقدم (على هؤلاء) على (شهيداً) في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:41].

وتقدم (شهيداً) عليه في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:89].

الأصل أن تتأخر الصلة عن الحال كما هو في موضع النحل؛ لأن الغرض إثبات شهادته على أمته، كشهادة كل نبي على قومه، وإنما قُدمت عليها في النساء؛ لتفيد اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالشهادة على الأمم كلها. والله أعلم. ويشبه هذا ما مر في المسألة التاسعة من المبحث الأول، بتقديم (عليكم) على (شهيداً) وتأخيرها عنها.

[1] – انظر فتح الرحمن لزكريا الأنصاري 272 مسألة 875.

خاتمة البحث:

نتائج البحث:

تبين من البحث أن كل لفظ قُدم في آية وأُخر في أخرى كان لحكمة اقتضت ذلك، حتى فيما عُطف بالواو، التي يرى بعضهم أنها لا تقتضي ترتيباً في أصل اللغة. وبهذا ينكشف لنا سر التعبد بهذا القرآن، بما خالف به سائر الكتب السابقة، التي لم تحظَ بالعناية بألفاظها المنزلة، كما حظي القرآن الكريم. ولهذا دخلها التحريف ، وسلم منه القرآن، الذي شرف الله به هذه الأمة، فحفظته بألفاظه على اختلاف قراءاته، لم تُبدل منه حرفاً. وبهذا يظهر لنا، كذلك، سبب منع رواية القرآن بالمعنى؛ لأن كل لفظ فيه وُضع موضعاً، لا يسد غيرُه مسدَّه. ولو أجازوا ذلك لما عُرف وجه إعجاز القرآن.

وبالنظر إلى الأسباب التي اقتضت التقديم والتأخير في البحث، تبين لي منها ما يلي:

1. أن يكون أصله التقديم، كتقديم الحال نحو: (شهيداً) على الظرف نحو: (بيني وبينكم)، وكتقديم الفاعل على الجار والمجرور، كتقديم (رجلٌ) على (من أقصا المدينة)، و(قلوبُكم) على (به) ، وكتقديم الوصف المفرد على الوصف بالجملة، كما في تقديم (مباركٌ) على (أنزلناه)، وكتقديم ما هو أولى بالطبع، كتقديم الغفور على الرحيم؛ لأن السلامة تُطلب قبل الغنيمة، وكتقديم التخلية على التحلية ؛ أي تقديم دفع الضرر على جلب المصلحة؛ لأنه أولى، كما تقديم الغفور على الرحيم، ونحوه.
2. العناية والاهتمام بما قُدم، كما في تقديم الجار والمجرور على الفاعل، نحو (من أقصا المدينة رجلٌ)، وكتقديم (عليه) على (الذكر)، ونحوها.
3. مراعاة السياق، كتقديم ضمير الخطاب للآباء بقوله (نرزقكم) ، مراعاة لحال فقرهم، وتقديم ضمير الأبناء في قوله (نرزقهم) مراعاة لتوقعهم الفقر، وكتقديم الأرض على السماء.كتقديم قارون على فرعون وهامان، وتأخيره عنهما، وكتقديم العذاب على المغفرة والرحمة، وكتقديم خلق السماوات والأرض على اختلاف الليل والنهار وتأخيره عنه، وغيرُه كثير.
4. شرف المقدم ورتبته ، كما في تقديم النصارى على الصابئين، وكتقديم السماء على الأرض.
5. التقديم بالزمان ، كما في تقديم الصابئين على النصارى، وتقدم اللعب على الدنيا (المتعلقين بالدنيا)، وكتقديم الجن على الإنس.
6. عموم المقدم أو أكثريته، كتقديم اللهو على اللعب (المتعلقين بالدين)، قُدم فعل أكثرهم على فعل أقلهم، وكتقديم الرحيم على الغفور؛ لأن الرحمة تعم المخلوقات كلها، والمغفرة خاصة بالمكلفين.
7. مراعاة تركيب الكلام، وترتيبه وحسنه، كتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى (من قومه) على الصفة في قوله (الذين كفروا)؛ لئلا يُفصل بين الصفة وما عُطف عليها. وكتقديم موسى على

هارون وتأخيره عنه، وكتقديم حال زكريا عليه السلام على حال زوجته وتـأخيره عنـه، وكتقديم الخبر على قبس النار وتأخيره عنه؛ مراعاة للفاصلة بقصـد التفـنن في الفصـاحة، وإخراج الكلام في أسلوب سهل جزل، دون أن يتغير المعنى.

التوصيات:

1. وجوب صرف الهمم لتدبر هذا القرآن ليظهر ما امتاز به على سائر الكتب السماوية، وهـو إعجاز لفظه ودقة معانيه.
2. وجوب المحافظة على نظم هذا القرآن، بتحفيظه للناشئة من أبناء الأمة.
3. تكثيف البحث في الآيات المشتبهة ألفاظها، سواء كان بالزيادة والنقصان، أو بإبدال اللفـظ بغيره، ونحو ذلك مما يساعد في الكشف عن أسرار هذا الكتاب العظيم.

مصادر ومراجع البحث:

- إعجاز القرآن الكريم؛ الدكتور فضل حسن عباس وابنته سناء ؛ عمان، 1991م.
- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال؛ ابن المنير، أحمد بن محمد الإسكندري المالكي؛ طبع بهامش الكشاف، مصطفى بابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، 1392 هـ/1972م.
- البحر المحيط؛ أبو حيان محمد بن يوسف بن على؛ مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1411 هـ /1990م.
- بدائع الفوائد؛ ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ دار الكتاب العربي، بـيروت، لبنان، 1970م.
- البرهان في توجيه مشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان؛ أبو القاسـم محمـود بـن حمـزة الكرماني؛ تحقيق: د. السيد الجميلي، مركز التراث للنشر، 1997 م.
- البرهان في علوم القرآن؛ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي؛ تحقيق: محمد أبـو الفضـل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1400هـ / 1980م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)؛ أبو السعود محمد بن محمد العمادي؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1414هـ / 1994م.
- التفسير الكبير؛ فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين؛ دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1991م.
- الجنى الداني في حروف المعاني؛ الحسن بن قاسم المرادي؛ حققه: فخر الدين قبـاوة ومحمـد نديم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1403 هـ/ 1983م.
- حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه؛د. محمود سعد؛ منشأة المعارف، الاسكندرية.

- درة التتريل وغرة التأويل؛ الخطيب الإسكافي؛ برواية أبي الفرج الأردستاني، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، 1981م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني؛ أحمد بن عبد النور المالقي؛ حققه: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1395 هـ/ 1975م.
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني؛ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي؛ دار افكر، بيروت، 1978م .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان؛ نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري؛ تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولي 1381هـ ،1962م.
- فتح الرحمن بشرح ما يلتبس من القرآن؛ زكريا الأنصاري ؛ حققه: على محمد الصابوني، مكتبة الصابوني، 1985م.
- الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري؛ مصطفى بابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، 1392 هـ/1972م.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني؛ بدر الدين بن جماعة؛ تحقيق: د. عبد الجواد خلف، سلسلة منشورات جامعة الدرسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى، 1410هـ 1990م.
- متشابه القرآن العظيم؛ أبو الحسن أحمد بن جعفر بن أبي داوود المنادي؛ رواية أبي العباس أحمد بن عثمان البصري، تحقيق: عبد الله بن محمد الغنيمان، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 1408هـ/1987م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ؛ حققه على محمد البجاوي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1969م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1418 هـ / 1997 م.
- مفتاح العلوم ؛ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي؛ ضبط وتعليق وهوامش: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مفردات ألفاظ القرآن؛ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل؛ تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، لبنان، بيروت.

- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن؛ ابن النقيب أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي؛ كشف عنه د. زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ 1995م.
- نتائج الفكر في النحو؛ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي؛ حققه وعلق عليه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- النشر في القراءات العشر؛ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري؛ أشرف على تصحيحه: على محمد الضباع، شيخ عموم المقارئ المصرية، دار الفكر.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1413هـ / 1992م.
- النهر الماد من البحر؛ أبو حيان محمد بن يوسف؛ بهامش البحر المحيط، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1411هـ / 1990م.

فهرس الموضوعات: